المقتطف

الجزء الرابع من المجلد العاشر بعد المئة

١٠ ابريل سنة ١٩٤٧ ١٨ جمادى الاولى سنة ١٣٦٦

المدْرَسُ الدَّولي

أو منَظّمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (١)

في أثناء الحرب العالمية الثانية أسست وزارة المعارف الانجليزية ، بمساعدة المجلس البريطاني ، منظّمة أطلق عليها إسم « مؤتمر الأمم المتحدة لوزراء التربية » . ولقد نالت هذه المنظّمة من النجاح ما فتح أمامها أبواباً من العمل والجهد ، حتى لقد فكر كثير من المهتمين بشئون الحضارة والسلام ، في تأسيس منظّمة دولية دائمة تتابع العمل فيما بدأ به ذلك المؤتمر الصغير . وبان عمّا قليل أن المؤتمر لا يستطيع ، إذا ما أراد الخير الشامل للبشر ، أن يحصر عمله في نطاق التربية وحدها ، وفي دائرة المتفق عليه من تعريفها . فلما أسست المنظمة الدولية ، أضيف إلى التربية أمران آخران : هما العلم والثقافة ، وصرف عليها إسم « منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة » .

وشهدت مدينة لندن مولد هذه المنظّمة العالمية ، حيث اجتمع نفر من العلماء المبرزين ، قضوا الصيف والخريف عاكفين على وضع القواعد الأساسية التي سوف تقوم عليها وتصدير لوائحها ونُظُمِها ، ومن ثمة انتقلت برجالها وبرامجها الواسعة إلى باريس مقرّها الثابت ،

---

(١) صرف الانجليز على هذه المنظمة اسماً دولياً هو : Unesco وجاراهم على ذلك الفرنسيون وبقية الامم المشتركة فيها والكلمة مؤلفة من الاحرف الاولى للعبارة الآتية

United Nations Educational, Scientific and Culturar Organisation.

وسميناها في العربية « المدرس الدولي »

واجتمع في أثناء شهر نوفمبر سنة ١٩٤٦ مؤتمر افتتح المُنظّمة ، فغدا الجنين الذي وُلد في لندن طفلاً يحبو في عاصمة الفرنسيين .

ولا شكّ عندي في أنّ هذا الطفل سوف يشب وينمو ويرْجَل فرْعه وتستبان عضلاته عمّا قريب . ذلك بأن غذاءه الحرية والتسمح والسلام ، فقد أقر المؤتمر العام هذه المبادىء السامية منذ البداءة ، بعد أن أيدها كثير من رجال الأمم المختلفة الذين شهدوا مولد ذلك المدْرَس الدّولي ، فقام نظامه الأساسي على مبدإ حرية الأديان جميعاً ، وحريّة المذاهب جميعاً ، وحرية العقائد جميعاً ، بحيث ينفسح المجال للنصراني والمسلم والبوذي ، والماركسي ، والشيوعي ، والاشتراكي ، والديمقراطي ، ونصير الاستبدادية ، ونصير الحريّة الإنسانية أن يعملوا معاً لخير الإنسانية المحض من غير أن يضحّي واحد منهم بمبدئه أو يطّرح انتسابه إلى هذا المدْرَس بعقيدة من عقائده .

على أنّ الأمر لم يقف عند هذا وحده ، بل وضع المؤتمرون تعريفاً جديداً للسلام . فلم يعرّفوه بأنه مجرّد الامتناع عن العُدوان ، بل سلام ينشأ عن عقيدة ينطوي عليها قلب الإنسان وحبه الخير لغيره كما يحبّه لنفسه . وقد قبل هذا التعريف بإجماع شامل ، فكان لقبوله أثر واضح في جميع المناقشات التي دارت في ذلك المؤتمر التاريخي .

والجديد في ذلك الأمر كُلّه . ان المعارف الانسانية وجعلها أساساً للروابط التي تجمع بين الأمم ، أصبحت قوة معترفاً بها في العالم الدولي ، ولم يصبح أمر العالم قاصراً على رجال السياسة والانتهازيين من رجال الحرب والدولة . ولا مرية إطلاقاً في أنّ التجاوب العقلي والروحي بين الأمم ، هو أكبر مانع للعدوان وأكبر مقاوم للعداوات التي تسبب تلك الحروب المهلكة المفنية .

ولقد لاحظ القائمون بأمر هذه المنظمة ذلك الأمر ، فرسموا الخطة التي تلزمها الأمم الممثلة فيها على خمس قواعد ، بل أنهم حصروها في خمسة رؤوس :

الاول : التنوير الذهني . فان حاجة العالم الآن تنحصر في القيام بحملة كبيرة للقضاء على الأمّية والجهل ، ذلك بأنّ السلام الحقيقي بمعناه الذي قرّره مؤتمر باريس ، لا يمكن أن يقوم على أساس مكين ونصف أمم العالم في ظلام دامس من الخرافات والأساطير والجهالات وبالرغم من أن هذا العمل من اختصاص كل أمة قائمة بذاتها ، غير أن « المدْرَس الدولي » يستطيع أن يبعث الروح العاملة في سبيله وينفث فيه القوة بأن يجمع الحقائق والمعلومات الصحيحة ويعمل على نشرها بين الشعوب التي تأخذ في سبيل التنوير الذهني والقضاء على مخابث الجهل ، فقررت لجنة التربية رسم الخطة الآتية :

« القيام بحملة كبيرة على الجهل بالعمل على نشر التعليم من بداياته الأولية في القراءة والكتابة إلى غاياته العالية في تنوير الذهن وتقوية الحس الرعوي عند الأفراد ، وتصحيح العقول والأبدان ، وتربيب القيم الروحية » .

الثاني : ايقاظ النائمين ، فان في أمم العالم قاطبة فئات من المتعلمين ، غير أنهم يهملون عقولهم فتذبل وتتضاءل قواها بالاغفال . وأمثال هؤلاء قوة من أخطر القوى التي تناوىء السلام في العالم . ذلك بأنهم يقعون فريسة أولئك الذين ينتهزون فرصة ضعف تفكيرهم ، فيبثون فيهم فكرات منقولة ليست من نتاج قواهم الذاتية . وهذه الظاهرة ولا شك معضلة قومية تهم جميع الأمم . ومن أجل أن يقاوم المدْرَس الدولي هذه الآفة النكراء ، قرر المؤتمرون أن يكون من أوالي واجباته نشر نظام المكتبات المتنقلة ، وكتب المراجع والمتاحف ، على أن يهتم قسم العلم الطبيعي بأن يمهد السبيل بنشر الآداب العلمية بين الناس ، وفي اذاعة الحقائق العلمية باخراج الأفلام التي تتناول مختلف موضوعات العلم . في حين أن قسماً آخر سمي قسم « بيئات الجماهير » سيعكف على درس برامج الاذاعة ، وخصيات الصحف الرئيسية وأهوائها وميولها ، ومقدار تأثير بعض الأفلام على اتجاه الناس .

الثالث : تهيئة الأداة ، فان كثيراً من الفنانين والعلماء والفلاسفة ، وعلى الجملة كثيراً من رجال الأدب والفضل العاملين الذين تأكل صدورهم الغيرة على خير البشر ، كثيراً ما تقعد بهم الحاجة عن الحصول على الأداة التي بها يتهيأ لهم المضي في عملهم الناجح المفيد أو تصدهم الظروف عن الاتصال بغيرهم من العاملين . وقد يكون عجزهم المادي سبباً في عجزهم عن الانتاج والمضي في الابتكار . فقرر المؤتمرون أن يوجه « المدْرَس الدولي » أقصى همه الى القضاء على الأسباب التي تقف بهؤلاء عن متابعة بحوثهم المبرورة ، بأن يهيء لهم الوسائل المادية اللازمة ، وان يشجع عقد المؤتمرات العلمية والفنية ، وأن يعمل على نشر المناقشة القيمة التي تسهل سبيل ذيوع المعرفة الحقة .

الرابع : تحطيم الموانع ، إن أمة بعينها ، وبمساعدة « المدْرَس الدولي » ، قد تستطيع أن تعالج مشكلاتها الداخلية التي أشير اليها في الأقسام الثلاثة السابقة . وقد تتفق أكثر من أمة على توليف اتحاد يعمل في سبيل فض مشكل دولي من مشاكل الحياة الانسانية . ولهذا ينبغي أن توجه حملة شعواء على الموانع التي تحد من اتصال بعض الشعوب ببعض ، ومثلها التأثير على جوازات السفر ، وفداحة الرسوم الجمركية وقيود النقد ، وعلى الجملة كل القيود والموانع التي أقامتها الأمم علاجاً لحالات طارئة . وسوف يوجه « المدرس الدولي أوالي جهده إلى هذه الحال . ومن أعظم الأسلحة التي يريد أن يتذرع بها وضع قاعدة بنشر

المؤلفات بأن تجعل حق نقلها وترجمتها حقاً دولياً عاماً .

الخامس : قوة التعاجل ، ان العمل بمقتضى المبادىء التي شرحت في الأقسام السابقة ، ولو أنه عمل فادح الجهد والمشقة ، إلا أن « المدْرَس الدولي » لم يجده وافياً بغرضه الأصيل فان « المدْرَس » لا ينبغي أن يقصر همه على تطهير الحقل الدولي من العقبات والموانع ، بل يجب أن يثير الهمة إلى الأخذ بمبدأ التعاون الدوليّ والتقارب بين الأمم والتواصل بين أفرادها وجماعاتها ، على اعتبار ان ذلك هو السبيل الأمثل لقيام سلام حقيقي دائم . إما الخطوة الأولى في سبيل هذا الغرض فاتجهت نحو المسرح واتخاذه سبيلاً إلى تفهيم بعض الأمم آداب بعض بعرض المسرحيات الثقافية لجميع الأمم من غير تمييز . وقد اتفق على أن يكون هذا المعهد التمثيلي هيأة قائمة إلى جوار هيأة المدْرَس ويباح الاشتراك فيها لجميع الأمم، سواء أكُنَّ مشتركات في المدرس أم غير مشتركاتٍ فيه ، غير أن نجاح الرسالة المنشودة من هذا المعهد إنما تتوقف على النجاح في إزالة العوائق والعقبات التي تقف حائلاً بين اتصال بعض الأمم ببعض . هذه هي الرسالة الثقافية والعلمية التي يرمي إلى تحقيقها « المدْرَس الدَّولي » . ولا شك في أنها أسمى رسالات هذا العصر .

يرأس هذا المدْرَس عالم انجليزي هو العلاَّمة « جوليان هكسلي » . ابن العالم الفيلسوف « توماس هنري هكسلي » زميل داروين المعروف ، والزائد عن حياض مذهب التطوّر بكل ما أوتي من قوة البيان وقوة العلم .

نشأ « جوليان هكسلي » في بيئة التطور واستسقى من أفكارها ونهل من منابعها . فلا عجب إذا نظر في تأسيس هذا المدْرَس نظرة من يعتقد إنه مدرج من مدارج الارتقاء الانساني تجري عليه سنن التطور جريانها على كل ما في هذا الوجود . فهو يرى ان مبدأ التطور قد أصبح الآن القوة المحرّكة والغرض الأسمى الذي يحرك أفكار الناس ويوجههم وجهة أسمى من وجهتهم الأولى . ومن الظاهر بصورة قاطعة ان العالم يسير الآن صوب العمل على تأسيس حكومة عالمية . وهذا الغرض النهائي ظاهر الأثر في جميع المؤسسات والمنظمات التي يقوم الإنسان بابتكارها في هذا العصر . « والمدْرَس الدولي » مظهر من أجلى مظاهر التطور في الجمعية الحديثة لأنه يعمل إلى جمع الناس جميعاً في بوتقة واحدة ، من طريق تواصل الثقافات وتآلف الاستجابات النفسية والروحية . وفي ذلك جَوْهَر ما يرمي إليه محبو السلام إذ يؤمنون بأن التفاهم بين الأمم وتكافلها من طريق الثقافة والعلم ، أعظم مُرَغّب لها في السَّلام ، وأجدى عامل على إزالة الريبة وسوء الظن بين الأمم .

اسماعيل مظهر

خليل مطران الشاعر

كان خليل مطران منذ خمسين عاماً وتراً جديداً في قيثارة الشعر العربي استطاع أن يبتدع فيه ألواناً جديدة لم يكن له به سابق عهد .

وقد استطاع الخليل — رغم البيئة والعصر — أن يوجّه النظر إلى طريقته ، وأن يجتذب الى هذه الطريقة الأسماع ، ويسترعي الانظار لفنه ، وأن يتبعه في نهجه فريقٌ خطواً خطواتٍ واسعاتٍ على ضوء المشعل الذي حمله .

ولئن اقترن اسم الخليل زمناً طويلاً باسمي زعيمين من زعماء الشعر العربيّ وقتئذٍ ، هما شوقي وحافظ ، لقد كان الخليل متفرداً عنهما بطريقته ، كما كان لكلٍّ منهما نهجه ... فلقد أخذ حافظ يضرب على وتر الوطنية المصرية زمناً ، وأخذ شوقي يدوّن أحداث الشرق ويسجّلها ، ويعرب عن آلام الشرق وأفراحه ، بينما كان الخليل يبني للشعر الحديث أُسسه ، ويضع للسائرين على دَرْبه الصُّوَى .

لقد كان ينقل الشعر من دائرة الى دائرة ، ومن محيط الى محيط . من دائرة التقليد الى دائرة استخدام الالفاظ والتراكيب على غير المألوف والمطروق منها . ومن محيط النظم الى محيط الشعور الحق بالجمال الحق ، والأخذ من الواقع للخيال ومن الخيال للواقع .

ولقد جعل الخليل أسس نهضته الشعرية على العناية بالمعنى قدر العناية باللفظ المنسجم معه ، وتحرّي الجديد من الموضوع ، والنادر من التصوُّر ، وجعل وحدة القصيدة مبدأً ليتم للخيال استكمال صورته دون أن تقف أمامه وحدة البيت عائقاً

وأدخل على الشعر العربي اللون القصصي ففنّ منه بالمبدع ، وأتى فيه بالروائع البكر ، فاتسع بذلك المجال على الخيال الشعريّ الخلّاق ، ومزج بين الطبيعة والتفكير ، أو بين المرئي وغير المرئي ، وبين المُدْرَك بالعين والمُدْرَك بالبصيرة النفّاذة ، فقدّم للشعر العربي أفتن صورة ، ولعلّ قصيدتهُ في هذا الباب « المساء » هي المثال الخالد لهذا اللون كما أنها المثال الرائع في الشعر العالمي .

هذا هو خليل مطران الذي يحتفى بالنهضة الشعرية عند ما يحتفى به

الصيرفي

أبناء العروبة
يكرمون شاعرهم

مهرجان أدبي بدت فيه مظاهر الوفاء والتقدير للشعر والأدب والفن

تجلت روعة الشعر وتقدير الأدب والبيان في المهرجان الأدبي التاريخي الذي أقيم في دار الأوبرا الملكية مساء السبت ٢٩ مارس سنة ١٩٤٧ تكريماً لشاعر الأقطار العربية الأستاذ خليل بك مطران فاجتذبت شاعريته وعبقريته أدباء العروبة وخطباءها وشعراءها من لبنان موطنه الأول وسوريا والعراق ومصر موطنه الثاني اجتمعوا في هذه الحلبة الأدبية التاريخية ليوفوه بعض حقه من التقدير والإكبار لما أجدى وأسدى وأنتج ونفع وأفاد شاعراً وكاتباً وصحافيًّا واقتصاديًّا

وتوّج هذا الحفل جلالة الملك المعظم في عطفه السامي وتقديره الكريم للأدباء والفنانين بأن شمل الحفل برعايته السامية فأوفد من لدنه حضرة صاحب العزة كريم ثابت بك المستشار الصحفي لديوان جلالته لحضوره.

واكتمل الحفل في الساعة الخامسة فاذا به مهرجان أدبي رائع ضمّ إلى كبار الأدباء والصحافيين وأبناء العروبة كبار رجال الدولة، رأينا منهم دولة محمود فهمي النقراشي باشا رئيس الوزراء وجميع رجال السلك السياسي العربي ومعالي ابراهيم عبد الهادى باشا رئيس الديوان الملكي وصاحبي المعالي وزيري المعارف والمواصلات وسماحة السيد أمين الحسيني المفتي الأكبر، وسعادة علي زكي العرابي باشا، وتوفيق دوس باشا، وفؤاد أباظه باشا، ومحمد العشماوي باشا، والسيد صادق المجدّدي والدكتور طه حسين بك، وغيرهم من الكبراء وأعلام الأدب والصحافة. وفي الساعة الخامسة وقف حضرة الشيخ المحترم خليل ثابت بك رئيس لجنة الاحتفال وألقى كلمة الافتتاح التالية:

حضرة صاحب العزة مندوب جلالة مليكنا المعظم ملك وادي النيل.
حضرات أصحاب السعادة الممثلين الرسميين لدول الشرق العربي.
حضرات أصحاب المقام الرفيع والدولة والفضيلة والنيافة والمعالي والسعادة والعزة.
حضرات السادة والسيدات

في سهل من سهول هذا الشرق طاب هواؤه ورقّ ماؤه وصفت سماؤه وسقيت أرضه

بعاء التاريخ شاء جيل من الناس في سالف العصر والأوان أن يعربوا عن تقواهم وشدة تعبدهم فشادوا طائفة من المعابد والهياكل جمعت بين العظمة والجلال والبهاء والجمال وصبرت على عاديات الدهر وصروف الأيام فكانت أعجوبة من أعاجيب الزمان .

في ظلّ هذه الهياكل وفي الحدائق الغناء المحيطة بها وإلى جنب ينبوع رأس العين يتدفق ماؤه من جوف الأرض كذوب البلور نشأ في أواخر القرن الماضي في بيت اشتهر أهله بالمروءة والنجدة والجود ومكارم الأخلاق فتىً نحيل البنية واسع الخيال .

وانفتحت عينا ذلك الفتى على هذا المنظر الرائع الحسن في إطاره البديع من خضرة الأرض وزرقة السماء فنفذ جماله إلى شغاف قلبه ورسم في مخيلته صوراً من الحسن أخذ يصفها بشعر رقيق أطرب سامعيه وقارئيه فتوسموا فيه خيراً وأدركوا أن العناية حبتهم شاعراً . غير أن جوّ الحياة في بلاد الشام في ذلك العهد كان خانقاً لحرية الفكر والرأي والقول فضاق الشاعر الشاب ذرعاً بتلك الحال وهجر وطنه وأهله إلى مصر — مصر العزيزة ملجأ الاحرار وملاذ الباحثين في الشرق في ذلك الحين عن الحرية حرية الفكر والرأي والقول .

جاء إلى مصر الوطن الثاني لكل عربي في أقطار العرب ومهاجرهم فلقي أهلا بأهل ووطناً بوطن وأشرف الشاعر على النيل العظيم فوقف على ضفافه خاشعاً وزار الاهرام فأكبر عظمتها وأصاب من رعاية أهل هذا البلد الكريم ما أطلق لسانه فأخذ يغرّد على ضفاف النيل بمثل مالم يغرّد به على ضفاف القاسمية ويطرب العرب في اوطانهم ومهاجرهم .

هذا أيها السادة والسيدات هو خليل مطران شاعر الأقطار العربية وهو الذي اجتمعنا اليوم لتكريمه وتقدير خدمته للشعر والأدب كرجل كريم وشاعر عظيم وأديب كبير قضى العمر في خدمة الأدب والشعر واتصف بنبل الأخلاق والفضل وستسمعون أقوال الخطباء والشعراء في وصفه ووصف أدبه وشعره .

أيها الشاعر العظيم ، أيها الأديب الحكيم ، أيها الصديق الحميم ، هؤلاء نخبة من صفوة أقطاب العرب وعظمائهم في وادي النيل وسائر الأقطار العربية اجتمعوا اليوم للاعراب لك عن تقديرهم وتكريمهم فأهنأ بما لقيت وأنعم بما أوتيت زادك الله من فضله ونعمته .

ياحضرة صاحب العزة مندوب جلالة مولانا الملك المعظم . أرجو باسم لجنة الاحتفال وسائر حاضري هذا الاجتماع أن ترفع إلى مقام جلالة حبيب العروبة وناصر العلم والأدب أسمى آيات الولاء وأبلغ عبارات الحمد والثناء على تفضله برعاية هذه الحفلة وشمولها بعطفه السامي أطال الله عمره وأعزّ به مصر والعروبة .

وإليكم ياحضرات السادة الكرام والسيدات الفاضلات ولاسيما حضرة صاحب المعالي وزير

المعارف ورئيس الحفلة وحضرات أصحاب المعالي والسعادة والعزة الخطباء والشعراء تسدي لجنة الاحتفال جزيل شكرها الخالص على تفضلكم بتلبية دعوتها . والسلام عليكم ورحمة الله.

وأنشد حضرة صاحب العزة الدكتور محمد صلاح الدين بك قصيدة خليل مطران بك التي توجه بها الى المحتفلين بتكريمه وهي :

طوّقتموني بأطواقٍ من المننِ   فكيف أقضي حقوقاً جاوزت مِنني
وما سبيلي إلى أدنى الوفاءِ بما   لكلِّ مبتدرٍ وافى ليكرمني
قد أعجزتني عن التخصيص كثرتكم   فمن أقول له شكراً ومنْ ومنِ
أخاف من سوءِ تأويلٍ لرأيكمُ   في الفضل لو قلتُ إني لستُ بالقَمِنَ
قومي وفي هامة العلياء منزلهمُ   هم صفوة الخلقِ بالأخلاق والفِطنِ
إن عزَّ من منحوا نصراً فأحرِ به   أو هان من منعوه النصر فليهنِ
مواطنُ الضاد شتّى في مظاهرها   وفي حقيقتها ليست سوى وطنِ
ممثلوها بهذا المنتدى لهمُ   مفاخرٌ ملء عينِ الدهر والأذنِ
من كل ذي نسبٍ أو كل ذي حسبٍ   ما في مصادرهِ من مصدرٍ أسنِ
وكل ذي منصبٍ تعتزّ أمته   بسيفهِ العضبِ أو بالرأي واللسنِ
وكل مقتبل الأيام مجتهدٍ   وكل طالب علمٍ نابهٍ ذهنِ
ومن مؤثّل جاهٍ في تجارتهِ   أو في صناعتهِ أغنى الحمى وغني
وزارعٍ صائنٍ بالبرِّ سمعتهُ   للوجدِ مبتذلٍ للحمدِ مختزنِ
وشاعرٍ يطربُ الدنيا ترنمهُ   فما أفانينُ غرّيدٍ على فننِ
وناثرٍ مسرفٍ في الدرِّ ينفقه   كأنه يتلقاهُ بلا ثمنِ
يا للوزير رئيسِ الحفل هل وسعتْ   شأني جلائلُ ما تهدي إلى الزمنِ
ليحفظ اللهُ « فاروقاً » لأمته   وللعروبةِ ولينصرهُ وليصنِ
هو الذي خبرَت معروفهُ أممٌ   فما تنكّرَ في سرٍّ ولا علنِ
لولاه لم تكُ مصرُ اليومَ بالغة   مكانها واتحادُ العربِ لم يكنِ
وليحفظِ الله أبناء الكنانة في   يمنٍ وأمنٍ من الأحداثِ والمحنِ
وليحيَ من صان مجدَ الضاد من ملكٍ   ومن رئيسٍ عليه اليومَ مؤتمنِ
فكلُّهم جاء في ميقاته وله   تاريخُ فضلٍ بهذا المجدِ مقترنِ
دوموا وأيامُكم بالآلفِ زاهرةٌ   ولا عدَتهُ عوادي الخلف والاحنِ
أبالغ بي وفائي بعض واجبهِ   لو أن عمريَ في هذا الوفاء فني

أصل الأديان

اختلفت آراء العلماء في أصل الأديان ومصدرها ففريق اعتبر الدين كحادث طبيعي توصل إليه البشر بذات الطرق التي توصلوا بها إلى العلم والفلسفة.

وفريقٌ آخر اعتبر الدين غريزة في النفس: واليك خلاصة الآراء.

الرأي الطبيعي: زعم قوم من المعطلين أن الفواعل الطبيعية وما حلَّ بالانسان من كوارث الحدثان أثرت في الماضي على عقله البسيط وأرعبت تصوراته الجامدة وجعلته يصدق الخيالات ويعتقد بالأرواح، فما العقل البشري حسب ظنهم إلاَّ آلة مادية للشعور وهذا الشعور قاد الانسان إلى الاعتقاد بما يجهله مما غاب عنه إدراكه فعندهم أن الديانة صورة الخوف والهواجس.

وارتأى غيرهم أن مصدر الديانة جهل الانسان شرائع الكون وذهوله من تتابع الحوادث الطبيعية وسيرها على منهاج واحد لذلك ألّه كل حادث من الحوادث الطبيعية وعبدها.

وقال أوغيست كونت: عبد الانسان الطبيعة إما لاعتقاده بأن بها روحاً له سلطة عليه. وإما لخوفه من قواها الظاهرة، وعنده إن أصل الأديان ميل الانسان الأدبي، لهذا قامت الأديان وهو حقيقتها وبه حفظت ولولاه لزالت. قال لاستري وتابعه غيره من الماديين ان الديانات بقية باقية من خرافات العصور الماضية أوجدتها الصدفة وتمسك بها الانسان لخوفه من مجهول وذلك لعدم معرفته نواميس الطبيعة.

وزعم هوم إنها حيلة من حيل الكهنة تسلطوا بها على البشر بواسطة التخرصات والخزعبلات

وقال هيجل وتابعه ميل إن الديانة كبقية المعارف التي توصل إليها الانسان بالملاحظة والاختيار أوجدها جهله لأسرار الطبيعة وسيتركها لدى إطلاعه عليها.

وقال مينزس Meinzise: أكرم الانسان الطبيعة وعبدها لخوفه من الظواهر الجوية وتعلق بها لاحترامه للفائدة والتجربة التي حصل منهما على غذائه وتدرّج من هذا إلى الاعتقاد أن بها روحاً نظير روحه فصدق الخيالات وعبد الأرواح وعن هذه الأسباب نشأت الأديان فالديانة بنظره عبادة قوة غير منظورة نتجت عن شعور عدم الارتضاء.

اما شلير ماخير chleirmacheir فقال انها حاسة ناتجة عن اعتقاد الانسان بكونه متعلقاً بكائن لايعلمه. ترجع هذه التعاليم والآراء إلى هذه المبادىء الثلاث.

اولاً — « ان مصدر الديانة الانفعال من الظواهر الجوية والخوف من الفواعل

الطبيعية لعدم معرفة الانسان لنواميس الكون وارجاع الاسباب لمسبباتها »

ثانياً — « ان الديانة صدفة حدثت عن مجرد الخوف والوهم لوقوف الانسان امام المجهول ».

ثالثاً — إنها حيلة من حيل الكهنة موّهوا بها على العقول البسيطة حبًّا بالسلطة ورغبة بالمنفعة فصدّق الانسان التخيلات واعتقد بالخرافات لتهويلهم على مخيلته .

فلنبحث في كل حالة من هذه الأحوال الثلاث .

أولاً — نعم أنّ الفواعل الطبيعية والظواهر الجوّية أثرت في مخيلة الانسان وفي معتقداته فصوت الرُّعود ووميض البروق ودمدمة الزوابع شغلت أفكار الانسان المتوحش وأرعبت قلبه وأثرت في تصوراته فاندهش من عظمتها وخاف من قوتها وحذر من مظاهرها وهاله أمرها فاعتقد أن قواها المنظورة وغير المنظورة عاملة به متسلطة عليه فارتبط بوجوده معها وتعلقت حياته بها فكان إذا أخصبت أرضه عاش رضيًّا واذا أمحلت مات ونتج عن ذلك أنه اعتقد بأرواحها وعبدها وقسمها إلى صالحة وشريرة تبعاً لمنافعها وأضرارها فأرواح الأمطار الشمس والحرارة مثلاً كانت في عينيه من القوى المحسنة إليه وأن ارواح الجفاف والبرد والمجاعات والأمراض من الأرواح المضرة له فقال إنها شريرة . ومن ثمّ نتج عن ذلك الاعتقاد الميل إلى استرضائها لدفع أضرارها أملاً بالحصول على رضاها فقدم لها الضحايا وحباها بالعطايا وتقرّب إليها بالصلوات والرقص إلى غير ذلك من العبادات والطقوس إن هذا الرأي يفسر لنا بعض معتقدات القبائل المتوحشة لكنه وهمٌ فاضح وخطأ ينتقده الواقع ويتضح فساده لدى درس النفس البشرية والاطلاع على الحقائق العلمية . لأنه لو لم تكن الديانة غريزة في النفس لما تأثرت من الفواعل الطبيعية فعاش الإنسان بغير ديانة . فالدّيانة إذاً غريزة في النفس ولو لم تكن كذلك لزالت وطوتها الأجيال الطوال ولم تبق مع العصور المتناهية في القدم، يؤيد هذا القول الاختبار الفسيولوجي ومنه نعلم أن علاقة النفس مع علة العلل هو ميلها إلى معرفة مصدرها فاستغاثة الإنسان بالله هو يقين بوجوده وإيمانه بمقدرته وثقته بمراحمه .

فالإنسان في حالتي الحزن والمرض والضيق والخوف والضعف والخطيئة يستغيث بخالقه بتلك الذات السماوية الفائقة الإدراك . فلو لم يعتقد الانسان بالله لما طلب منه المعونة ولما كان له اتصال معه وعلاقة به. وتاريخ الأديان يثبت لنا ذلك . وصلات هذا البابلي وقد مضى عليها أربعة آلاف سنة توضح لنا حالة النفس الدينية بأجلى بيان . ومنها نطلع على أسرارها الخفية ونقف على ضعفها وقوتها فنرى أنها قد تغلبت على الفناء ونهضت من ظلال الموت لتخبرنا بفعل الرحمة .

إلهي ان آثامي عظيمة وخطاياي كثيرة قد صنعت شروراً كباراً وصغاراً لا اعداد لها ولا علم لي بها . فيا إلهي أيها السيد إن ساعة غضبك أدهشتني لكن مراحمك أحاطت بي وخلقتني فيا ربي وإلهي لا تبتعد عن عبدك إذا انحدر إلى الهاوية التي لا قاع لها مد يدك إليّ أغثني وامحو آثامي وبدد خطاياي ذرها كالرماد مع الرياح فأحيا .

يرى المرء بهذه الصلاة صورة نفس الانسان التي شعرت بأصلها السماوي فطلبت المعونة من الله والغفران . فالديانة كما قلنا هي شعور النفس بالخالق وميلها إلى معرفته بالاشتراك معه بالحق والمحبة لذلك أحب الانسان قريبه وعمل بما ينيله عفو الله ورضاه بهما وظهرت فكرة العدالة والرحمة وبهذا صار الانسان إنساناً له صفة امتاز بها عن بقية الحيوان ووجوده كانسان هو بقوة نفسه الأدبية أي بسلامة النفس واشتراكها مع الله بالحق وحياتها معه بالمحبة . إن كل إنسان يميل بالطبع إلى التعبّد لمعبود منظوراً أو غير منظور وهذا ما يسمونه بالحاسة الدينية وهي غريزية غير عرضية لوجودها في جميع البشر في حالتي الرقي والانحطاط

إذا قلبنا صفحات التاريخ واطلعنا على أخبار الأمم القديمة والحديثة لا نجد شعباً بدون ديانة حتى إن وجود قوم بدون نطق ليس بأبعد من وجود قوم بعيدين عن الفكرة الدينية والمعتقدات الروحية . وما قال به بعض السياح من الذين جابوا الأماكن المجهولة وعاشوا بين البرابرة من أن بعض القبائل المتوحشة بلا ديانة وليس عندهم عبادة ظهر لدى الفحص والتحقيق إنه كان خطأً . ومن يبحث أحوال الشعوب قديمها وحديثها يحكم حكماً قاطعاً إنه لا يوجد شعب واحد خالٍ من الاعتقاد بروح من الأرواح أو بإله من الآلهة وهذا الأمر كان معروفاً من فلاسفة اليونان وقد بنوا عليه نتائج جوهرية . فالديانة مغروسة في النفس وهي من مطاليبها ولا يمكن صرفها إلى غير ذلك من الأغراض مهما حاول المدعون فهذا الأمر قضية أولية لا يمكن نقضها

ثانياً — إننا لو دخلنا إلى اعماق النفس البشرية وتعمقنا في البحث بمطاليبها واطلعنا على أسرارها ولاحظنا ميولها لعلمنا إن الديانة حاسة غريزية في النفس لم تنتج عن الخوف من المجهول كما يزعمون ولا عن الوهم بما خفي من الأمور كما يتوهمون .

فلو إنها حدثت عن صدفة كحادث من الامور العرضية . ولو كانت نتيجة الخوف والوهم لنبذتها النفس كما نبذت أشياء كثيرة من الأمور المجهولة . إننا نرى بالواقع أناساً من أصحاب العقول السامية والنوابغ الذين اشتهروا بين البشر وقادوا الانسانية إلى العمران والرقي كانوا متدينين وغيرهم من الجهلة كانت حاساتهم الدينية ضعيفة فلو صحّ ما زعموا من أن أصل الديانة الخوف وعدم المعرفة لنبذها عقلاء القوم وتمسك بها الجهلاء . وبالواقع

نرى عكس ذلك، نرى ان عدد المتدينين بين العقلاء أكثر من عددهم بين الجهلاء. أخيراً لو كان الخوف علة وجود الآلهة لما رأى فيها الانسان صورة الخير العام. فجميع الأديان الفطرية والراقية علمت أن الآلهة أوجدت الواجبات على البشر وانها هي التي أمرت الانسان بعمل الخير وبالابتعاد عن الشر وعلمت أيضاً أنها هي التي تدفع عنه المضرات وتهبه الخيرات من شبع وري وإنها هي التي خلقت العالم وأوجدت الحياة. ولو اعتقدنا أن هذه الفكرة ظهرت حينما ارتقى الانسان وصارت له حياة معنوية لو صحّ ذلك لما رأينا الشعوب الهمجية تعتقد ذات الاعتقاد وتنسب إلى آلهتها الخلق والفضل والبركات. ولو لم يكن كذلك لظلّ الانسان مقتصراً في عباداته على طريق المبادلة بينه وبين الآلهة ولم يهتد إلى الواجب المفروض عليه من قبل الرحمان، إن فكرة الخوف لم تكن لتتمكن من نفس الانسان لو لم تكن طبيعة نفسه دينية. فالسبب الذي عمل بها في الماضي يعمل به الآن بعد أن زال الخوف من فكر الإنسان. وإننا إذا وجدنا في بعض الأديان قضايا شاذة وخرافات كثيرة متنوعة متشعبة ناشئة عن خوف الإنسان في الماضي من الفواعل الطبيعية والظواهر الجوية فإن أصل تلك المعتقدات خارج عن أصل الديانة الطبيعي.

ولو كانت الديانة صدفة عرضية لتركتها النفس البشرية حينما زال المسبب لها ولما شملت جميع الخلائق والأمم وتاريخ جميع الشعوب شهادة لا يمكن إنكارها.

ولو لم تكن الديانة في النفس لتركتها النفس فزالت كبقية الصدف العرضية لأن العرض لايدوم ولا دوام إلاّ للجوهر، وهل يقدر الإنسان أن يحافظ على خلق بعيد عنه وصفة ليست منه إن هذا من المسلمات البديهية.

ثالثاً — لو اهتمّ الكهّان والحكماء وموّهوا على الأذهان وضللوا العامة بالأديان ليتسلطوا عليها. لو أنهم اخترعوا الأرواح والآلهة ووضعوا أصول الأحكام الدينية ورسوم العبادات ليؤثروا بذلك في المخيلة لما وجدت ديانة على وجه الأرض لأن التاريخ يدلنا على أن الأديان وجدت قبل الحكماء والملوك والكهنة. قبل حياة الانسان الاجتماعية، أي حينما كان متوحشاً طريداً شريداً يأوي الى المغاور ويسكن في شقوق الصخور. فلو كانت الديانة حيلة من حيل الكهنة لما وجدت ديانة لأن مجرد وجود الكهنة يلتزم وجود ديانة قبلها. ولو لم توجد في النفوس البشرية تلك الحاسة الغريزية لما وجدت الفكرة الدينية في عقول الكهنة ولولا ذلك الميل السابق الى الديانة لخابت آمالهم من تسلط أوهام بعيدة عن الطبيعة البشرية، ولما دام هذا الخداع مدة أجيال طويلة متناهية في القدم، ولما انتشرت الأديان في جميع القبائل والأمم.

أسكلة — طرابلس الشام أمين نعوم

الكتاب اللبناني

بمناسبة المعرض الذي أقيم بالقاهرة

لا شك في أن إخواننا اللبنانيين كانوا من أسبق أدباء العربية عنايةً بالطباعة ، وإذا كانت المطبعة الأهلية التي أنشأها في القاهرة مؤسس مصر الحديثة قد أسدت للكتاب العربي أيادي لا تجحد من العناية بالطبع والإخراج الصحيح ، فإن للآباء اليسوعيين مثل هذا الفضل ، فقد بذلوا من الجهد في التنقيح ، والعناية بمظهر الكتاب ، وإبرازه في أحسن حلة لم يسبق لها مثيلٌ في الشرق ما جعل لمطبوعاتهم من المكانة والتقدير ما هي جديرةٌ به .

وكان لنشاطهم أثرٌ ملحوظ في النهضة الأدبية امتدّ إلى هذا العصر . . . ولقد نقل اللبنانيون معهم في كل مكان هاجروا إليه بذور هذه النهضة ، وما زالوا بها حتى أثمرت وخلدت على رغم الزمن ، وثبتت جذورها وامتدّت أغصانها فأظلّت كلَّ ضروب الثقافة

وتاريخ النهضة الفكرية مدينٌ في كثير من نواحيه إلى أعلام نبتوا في ظلّ الأرز الخالد .. هذه حقيقةٌ لا تجد إنكاراً ولا تصادف جحوداً .

ولقد كنّا — نحن المصريين — من أكثر الناس إعجاباً بكل أثر فكري ينتجه عقلٌ لبناني . ولكن إخواننا اللبنانيين كانوا أكثر الناس عتباً علينا ، ناسبين إلينا التقصير عن الإشادة بما ينتجون . . . ولكنني كنت أمرُّ بهذا العتاب مطمئنَّ الضمير ، لأنني كنت من السبّاقين في الكتابة عن معظم آثار الفكر اللبناني التي ظهرت خلال الخمسة عشر عاماً الماضية ، وكانت هذه المجلة في مقدمة المرحبين بهذه الآثار والكتابة عنها .

نعم . قد يكون هناك تقصيرٌ من بعض الصحف والمجلات في تناول كثير مما تخرج المطبعة العربية ، وقد تكون هناك شكوى من هذا التقصير في حق النهضة الأدبية ، ولكن هذا التقصير وتلك الشكوى منه ، ليس بالواقع أثره على أدبٍ بعينه ، ولكنه تقصيرٌ لحق حتى بما تنتج المطبعة في مصر ، والشكوى التي يردّدها إخواننا في لبنان يشكو منها أدباؤنا من تقصير الصحافة المصرية في تناول آثارهم .

وقد يجرّنا القول هنا إلى إثارة شكوى كثير من أدباء مصر من عدم العناية بدراسة آثارهم في صحف لبنان ، وأنا أميل إلى الاعتقاد بأنه إذا كان هناك تقصير ، فإن هذا التقصير ليس بالمتعمد ، أو ليس مقابل الصنيع بالصنيع . وقد يكون مردّه إلى طغيان المسائل السياسية وضيق الصفحات بسبب ظروف الحرب الطارئة .

هذه كلمة أردنا أن نقدم بها كلمتنا عن معرض الكتاب اللبناني الذي أقيم بالقنصلية اللبنانية في القاهرة ، وافتتح في اليوم الحادي والعشرين من شهر مارس الماضي بحضور كثير من الشخصيات البارزة في البلاد العربية وكثير من أعلام الأدب والمعنيين بالثقافة العربية ، لأن من العوامل الاولية في إقامة هذا المعرض بمدينة القاهرة للكتاب اللبناني ، تلك الشكوى التي أشرنا إليها .

فلقد أشير في مقدمة الدليل الذي صنّف بمناسبة هذا المعرض إلى هذا السبب حيث جاء فيها : « تلاحظ جمهرة الكتّاب في لبنان أن الكتاب اللبناني في مصر مغمور ومحاط بالغموض ، ولعلّ الخطأ في ذلك يرجع إلى نقص في تنظيم النشر أكثر مما يعود الى عدم إقبال القرّاء المصريين » وإن كان قد أشير كذلك إلى أن إقامة هذا المعرض غرض من الأغراض التي عمل القائمون به على العمل في سبيل تحقيق الغاية التي تدعو إليها اللجنة الثقافية في جامعة الدول العربية من تقوية الوشائج الثقافية بين الدول الناطقة بالضاد .

ولقد كانت الفكرة التي خطرت للأستاذ مصطفى عبد الباسط فتح الله صاحب مكتبة الكشاف ومطبعتها في بيروت فكرةً جميلةً أحسن الى الثقافة العربية حين عمل على تنفيذها بإقامة هذا المعرض ، كما أنه كان أجمل من هذه الفكرة وتنفيذها وأروع منهما ، هذه الروح الطيبة التي دفعته إلى العناية بابراز معظم المطبوعات اللبنانية التي أصدرتها دور نشر أخرى . غير داره هو ، ناظراً في ذلك الى تحقيق الغاية النبيلة التي تقام من أجلها مثل هذه المعارض ، ولم يقصر ذلك على ما ظهر من الكتب في لبنان وحده ، بل تعدّى ذلك الى عرض جميع ما ظهر للكتّاب اللبنانيين أو الذين من أصل لبناني في بلاد أخرى .

وكان الدليل الذي قام بنشره مما تدعو الحاجة إلى إخراجه — ولو أنه في حاجة الى مراجعة كثيرة وإلى إضافات كثيرة ، لعلّ الظروف تساعده على إعادة نشره على ضوء

ما يهتدي إليه وفي مظهر أكثر فائدة للمشتغلين بالثقافة العربية وتأريخها حتى يكون مرجعاً دقيقاً لهم .

على أنه قد بدت لنا بعض أشياء لاحظناها خلال طوافنا بهذا المعرض ، لعلّ في مقدمتها عدم عرض المنشورات الدورية التي تصدر في لبنان من صحافة يومية أو أسبوعية أو شهرية ليتعرّف إليها القارىء المصري الذي لم يستطع الإحاطة بها أو الحصول عليها . كما انه كان من الجدير أن تعرض بعض أعداد مما صدر من صحافة لبنانية في مصر او في الأقطار التي هاجر إليها اللبنانيون أو ما ظهر في لبنان في الجيل الماضي أو القريب من عهدنا الحاضر .

وقد يُرَدُّ على ذلك بأن المعرض خاصٌّ بالكتاب اللبناني ، ولكن ليست كلمة الكتاب قاصرة على ذلك ، فكل ما انطوى على ثقافة فهو كتاب .

كما أنه قد بدا شيءٌ من التقصير في عرض كثير من الآثار التي أخرجتها المطابع اللبنانية في أمريكا ، وكان واجباً — وقد استعير بعض هذه المؤلفات من دار الكتب المصرية — أن يكون العرض شاملاً لتلك المؤلفات ولو عن طريق الاستعارة أيضاً .

ولا ينهض عذراً للاستاذ مصطفى فتح الله ما أشار اليه في مقدمة الدليل من أنه لا يدعي أنه حصر « بهذا المعرض وبهذا الدليل جميع الكتب التي ألفها لبنانيون أو التي صدرت عن المطابع اللبنانية ، إذ أن هذا واسع جدًّا ومتنوّع في لغات متعددة ، وغير محصور في الوطن الأم ، بل هو منتشر في أنحاء الدنيا حيث المغتربون اللبنانيون » بدعوى أن هذه محاولة أولى في هذا المضمار . لأنه كان في استطاعته وقد لقيَ من حكومته كل تقدير ومساعدة مادية ومعنوية أن يسعى إلى إتمام هذه المحاولة وإبرازها كاملة .

كما لوحظ أن هناك كتباً عرضت ليس مؤلفوها لبنانيين أو عرف عنهم أنهم من أصل لبناني ، ومن الأمثلة على ذلك كتاب « في الحياة والأدب » للأستاذ سلامه موسى .

على انها بالرغم من هذا كانت فكرة طيبة ، وكانت غاية نبيلة ، وكانت فرصة سعيدة للقارىء المصري ظفر بها في التعرف الى تلك النهضة الفكرية الحديثة التي ظفر بها لبنان الشقيق ، وهي امتداد للنهضة العريقة التي حققها أدباء ذلك الوطن في الجيل الماضي .

حسن كامل الصيرفي

الربيع

يا جمالَ الربيع ، صبحٌ طروبُ   وضُحىً ضاحكٌ ، وليلٌ لعوبُ
وغصونٌ حنت فقلنا ضلوع   وطيورٌ حنت فقلنا قلوب
ونسيمٌ مرنحُ العِطف ، نشوا   نُ ، ولكن موقّرٌ محبوب
رقّ حتى لو صُغتَ منه اعتذاراً   لارتضاه منك الحبيب الغضوب
وندًى مترَفٌ ثغور العذارى   تدّعيه لو كان فيه ثقوب
هو دُرٌّ طافٍ على صفحة الرو   ض ، عطوفٌ على الزهور ، وثوب
وورودٌ لم أدرِ هل هي أورا   ق وشوك ، أم راحة ولغوب ؟
حملت شوكها سلاحاً ، فهل تنـــشب في عالَم الزهور حروب ؟
وهزار لم أدر هل هو طير   يتغنى ، أم شاعرٌ مشبوب ؟
أم ملاكٌ يستغفر الله للنا   س ؟ . على الناس أجمعين ذنوب
وزهور هي الثغور التي للنحـــل في رشفها غرامٌ دَءوب
قلتُ للقلب حين شفّت ورفّت   أنت حرٌّ ، تتوب ، او لا تتوب
ما لقلبي وما لها ؟ . . غار حتى   كاد من غيرة عليها يذوب
هو ، إن قال قد صبوتُ ، صدوقٌ   وهو ، إن قال قد سلوتُ ، كذوبُ

شاعر البرارى

هذا الانسان

أحبَّ نفسه حبًّا لو تقصّيت لعثرت عليه حتى وهو في نسكه ، وتعالى فاشتطَّ يدعي لها الكرامة على الكون ، ويصطنع العزة تنافس السماء . ولكنك لا تقف منه عند هذا الفصل فهو في فصل آخر يبذل على الشُّهى من نفسه بذلاً جمًّا ، فيه الكثير من السرف والسدر ، كأنما هي ليست بالكريمة ولا بالعزيزة عليه . وما يعوزك إلاَّ القليل من البصر لتشهد الانسان في موقفه الثنائي هذا ، فأنت تراه يعصى حتى المعاني الخلقية وهو يلتمس لنفسه المال والجاه والسلطان جميعاً ، وتراه يجري مع الأشواق أشواطاً إلى ما يذهب منها بالعافية ، ويستنفد الطاقة ، وقد يأتي على الثروة من هذا اللهو المترف النهم أو الخشن الجائع ، وهذه الملذات وتلك يقبل عليها في الخفاء أو في الجلاء ، سامراً عابثاً أو داعراً ضالاً ، وقد يقبل شقيًّا بائساً ، أو يقبل قانطاً منتحراً يصارع الحياة ، فهو في حاليه هاتين مفتون بنفسه شديد الفتون بها ، عدوٌّ لها كثير الجناية عليها ، ولست تجده — على المصباح إلاَّ مخلوقاً يجاهد قلبه حيناً ، وحيناً يناقض بعضه ، ولا يغرّنك وجهه ولباسه وكله .

رأيته أمة تنعي على أمة شهوة اتخاذ الغازات والجراثيم اداة عدوان وقهر ، وتقول : «ما هذه الشهوة إلاَّ الجناية على الانسانية» ثم لم تلبث هي ان أخذت بالقنبلة الذرية ، تبيد بها المدينة الكبيرة من بعد المدينةِ الكبيرة ، وتبرِّر فعلتها الجانية هذه بما شاءت لها الوقاحة .

ورأيته حكومة وعدت قوماً ديار الآخرين على سعة أرضها وعريض ملكها ، واصطنعت من الكذب على الانسانية ، ومن فتات القوم مبرراً للعدوان .

ورأيته ملكاً لا يعرف إلاَّ أن يمد من سلطانه ، وإلاَّ أن ينتقص من حرية شعبه ، ومن حقوقه ما وسعه أن يفعل ، وإلاَّ أن يمن من بعد على الناس بأنه من أهل الهدى !

ورأيته جماعات وأحزاباً وطبقات وشعوباً وقبائل ، بل ومبادىء تمارس أرقى المعاني المثالية ، ومن بين يدي هذه المعاني ومن خلفها وفي ثناياها تروح الأنانة وتجيء ، وقد تضحك فتقهقه .

لك أن تتخيل الانسان فيلسوفاً في ثقافته ، أو تاجراً أو صانعاً أو عاملاً أو اكاراً ، ومن أي وسط وطبقة ولون .

ولك أن تتخيَّله سلافيًّا أو سكسونيا أو لاتينيًّا أو عربيًّا ، ومن العرق الأصفر أو من الزنج ، فهو في هؤلاء جميعاً مخلوق معقد أشد التعقيد ، ولعله أعظم المخلوقات تعقيداً فيما يبطن ويتلوَّن ويتقلب بين الشيء وضده ، فما تراه عنده أو تراه منه ليس — في الغالب — هو ما انطوى عليه أو تحرَّك إليه .

فهل طبيعة الانسان المتناقضة الثنائية هذه — في حبه لنفسه وجوره عليها ، وفي تقلبه بين الخير والشر ، وتذبذبه بين الفضيلة والرذيلة — تحمل معنى طفولته العقلية على رغم مئات الألوف من السنين : هذه التي عاشها مذ كان على وجه الأرض ؟ أو هي الشاهد على أن ليس له يد — على الأغلب — فيما يقبل ويدبر ، وفيما ينهج ويصنع ، وإنه إنما يسعى مختاجاً أو مؤتمراً بما يعتمل فيه من رأسه إلى صدره إلى معدته وغدده وأعصابه ، ومستجيباً ان قليلاً وإن كثيراً لضغط ما يلابسه من العوامل والقوى الخارجية على امتداد البيئة والجو والهواء ؟ .

ليس الانسان بدعاً بين المخلوقات في طبيعته الثنائية ، فتلك سنة الخليقة في الوجود ، تقوم على الدفع والجذب ، على الضدين يتفاعلان فيمضيان إلى التشاد والتماسك في كل كائن ، وكل خلية من كائن . ولولا قيام الكون على سنة تعارك الاضداد هذه لفسد النظام وانفرط العقد الجامع بين الكائنات .

وأنت تجد هذه السنة شائعة حتى في دنياك لو فطنت إليها ، فهي محتشدة بالاضداد كالتحليل والتركيب والعرض والطلب والخير والشر والحب والبغض والمساواة والتفاضل والوحدة والتنوع والديمقراطية والارستقراطية وما إلى هذه وتلك من ثنائيات الحياة .

وقد تنظر من نافذة ثانية فتجد أمامك الانسان بما استنبط من القواعد واكتشف من النواميس ، ووراد من المجاهل ، وصعد في السماء قد بلغ ذروة تنفي الطفولة عن العقل البشري ، ولكننا نعنت هذا العقل كثيراً ونحن نتوقع له السلطان الكامل على أشواق الانسان ، وربما كان من الخير أن نفرق بين مجاله ومجالات الغرائز الأخرى .

وأحب وأنا أنتقل إلى النقطة الثانية من الموضوع — أن أنطلق من أغلال الرأي القائل بقدرة الانسان على ان يصنع أو ينذر نفسه للخير الخالص وأن أتحرر من أوهام هذه المعاني التي حفلت بها كتب الأخلاق ومعاجم اللغة ، فأنت واجد فيها أسماء لفضائل خلقية ليس لها — ان صدق الرأي — في الدنيا من وجود ، أو ليس لتحقيقها مكان في الطبيعة البشرية

وان كانت جذابة مدوية كالعدالة والعفة والمساواة ، وكالقناعة وأشباهها من المعاني المثالية وأنت ان أخذت منها احداها : القناعة مثلاً ، وتقصيت كبد الواقع ، رأيت الانسان لا ينفك يطلب المزيد من دنياه وان ليس في وسعه -- بحكم تركيبه الفطري — ان لا يفعل ، واذ يظهر القناعة أو تظهر هي عليه ، فإنما ذلك يكون إما لعجز في القدرة ، أو لتقصير في التطاول ، وأكبر الظن في الإنسان الذي يرى قانعاً أن يكون مأخوذاً بسلطان هوى اشد امتلاكاً له ، وأكثر تحكماً في مراده من غريزة الطمع . وقد يتبدّل الإنسان بالقناعة ، وهو يتخذ منها قناعاً .

وبعد فما الذي يصنع الإنسان ، أو ما الذي له يد فيما يصنع الانسان؟ وأنا إنما أتساءل عن المكونات الأصلية لخلقه ومشاعره فيما ينطلق ويتجه ويتكيف ، وأحبّ أن أتخطى دواعي الحركة كالهم والألم والجوع وطلب اللذة وارضاء الكبرياء فما هذه إلاّ الآثار لأشيال هي التي نريدها بالبحث ، وتلك مقوّمات الهيكل البشري ، أو عماد تكوينه وأدوات اضطرابه وتقلبه في الحياة .

وانت تعلم أن الإنسان في بنيته مؤلف من عناصر المادة ، فهي ملاكه على اليقين العلمي وتعلم أنه يتساوى في هذا الخلق ويشترك هو والحيوان والنبات والجماد جميعاً ، وليس يمتاز إلاّ من حيث ارتقاء التركيب والتأليف ، وإبداع الخالق تعالى في خلقه . فنحن إذن من الإنسان أمام مزيج من عناصر المادّة المتفاعلة ، كما نحن من سائر الكائنات على السواء . ودع أمر الإنسان فيما يمت إلى الروح أو إلى أثرها فيما يسعى ، فالعلم ما زال منها أمام باب مغلق وسرٍّ مبهم ، ولست أريد فيما أبحث أن أستسلم إلى الأحاسيس الغامضة فأرجم بالظنون .

هذه مضارعة ، أو هي على الأصح مقارنة نريد منها أن نخلص إلى القول بأن الإنسان إنما يصنعه حظه من الخلق فهو كائن على قدر الابداع في تركيبه من عناصر المادّة ، واعتمال هذه العناصر في بدنه ، وقدرتها على الإمتصاص من الخارج ، وأنّ طبيعة الخلق هذه في الإنسان لا تيسره للخير الخالص ، ولا للشر الخالص ، فهو يتذبذب بين هذين وإنما الطيبة على قدر غلبة الجوانب الخيرة فيه على جوانب الشر ، وأن ما يفعل في سائر الكائنات يفعل في الكائن البشري لا محالة .

ولعلّ الخير في أن تأخذ من الجمادات مثالاً ، فأنت في تحريكك لحجر من مكانٍ إلى آخر ، إنما تعتمد ، بالإضافة إلى قدرتك الشخصية ، على أشياء بعضها يتصل بالحجر ذاته ، وبعضها بالخارج ، مثل حجمه وشكله الهندسي وثقله ، أو تماسك ذرات بنائه وتراصها ، ومثل مكانه من مركز الجاذبية ، ومدى تعرضه إلى الانحدار أو الارتفاع أو الانبساط ، ثم للهواء الخفيف

المترقرق ، أو الشديد العاصف ، كل أولئك عوامل ذاتية وخارجية تشترك معك في تحريك الجماد .

كذلك الشجرة فهي إنما تمتد في الفضاء فروعاً ، وتخترق الأرض جذوراً على قدر ما في طبيعتها من سعة للامتداد والاختراق . وقدر ما تمتصه في جوّها من الضوء والحرارة ، وفي تربتها من الرطوبة والمواد الصالحة لها ، وهي تختلج متأثرة بالهواء يختلف ترفقاً وعتوّا ، ويتحوّل إلى الشمال أو الجنوب ، الى الشرق أو الغرب . ولعلك واجد في اختلاف الشجر والنبات علوّا وضخامة ، ثمراً ولوناً ، واختلاف استجابتها للعوامل الخارجية تعليلاً يمدك بالفطنة الى أن أسباب الحركة والنمو والتطوّر لا تنحصر في الكائن ذاته ، بل لا بدّ من يد تمتد إليه من الخارج . فهل هذا شيء يمت الى وحدة الوجود ؟ .

والإنسان لا يشذ عن هذه السنة فهو عبدٌ لنفسه لفطرته ، لهذه الأجهزة في إهابه ، وعبدٌ كذلك لعوامل البيئة والجو ، وبتعبير آخر : إنّ الانسان ينفعل بهذا التعامل المعقد بين الخلايا في جثمانه كما ينفعل بطبيعة الجو فيما يلابسه من الأشعة والحرارة والبرودة ، وكما ينفعل بطبيعة البيئة فيما يرى ويسمع ويقرأ ويمارس ، حتى وفيما ينال من حبٍّ وعطف وحنان ، أو يجد من خشونة وقسوة وظلم . ودع نوع الغذاء ولون الحياة ، فأمر هذين في خلق العافية وتكوين الشخصية بيّن معروف .

هاك التنفس مثالاً ، فأنت به تحيا على شيء يبلغك من الخارج ، فيقبل جهازك منه ما يقبل ويلفظ ما يلفظ ، يقبل ما خلق واتسع لقبوله ، ويلفظ ما عداه ويمجه . وإذن فان انفعال الإنسان بما في الجو والمحيط إنما هو على قدر ما تسمح به طبيعته الذاتية ، ولعلّ هذا يعلل اختلاف الناس في مدى الإنفعال بالمؤثرات الخارجية ، ومدى قربهم من الخير أو الشر ، وقد يعلل كذلك تفاوت الفطرة البشرية ، فهي على أنماط منها ما يغلب الشر عليه فيمج ممّا حذو طائفة من النبات والحيوان ، ومنها ما يقطر شهداً حذو أخرى من هذا وذاك .

وإذْ كان هذا مكان الإنسان من نفسه ومن الطبيعة كان منفعلاً على الغالب وليس بفاعل فيما يأتي ، أو في معظم ما يأتي على الأقل ، وهو من أجل هذا المكان جديرٌ بالمعالجة الرحيمة أكثر مما هو جدير بالتثريب والزجر والقصاص ، بل هو بهذا الحظ تعسٌ حتى يأتي دنياه على ألم ، ويفارقها على آلام ، ويعيش بين البداية والنهاية يجاهد من نفسه مراداً يطلب في الحياة كل شيء ، ولا يرضيه شيء .

أنظر إليه فيما يعاني من طبيعته ، فقد يغضب ولا يملك أن يخمد ثائرته ، ويأرق ولا يملك أن ينام ، ويريد أن يعف ولا يملك أن يفعل ، ويحسد ولا يملك لقلبه نصحاً ، ويطمع

ولا يملك لطمعه ردعاً . وقد يدمن الخمر أو يدمن الميسر ولا يملك أن يكف على ما يعلم من ضرر ما هو ماض عليه ، وقد يكرثه أمر فيأخذ يفكر فيه ثم يمل ، أو يتغشاه الإجهاد ، فيريد أن ينقطع ولا يملك لتفكيره وقفاً ، ويظل عقله يعمل ، وأعصابه تختلج على رغمه ، وهو يعلم أن شر ما في الدنيا هو القتل ويقتل حتى نفسه . وشر ما في العيش هذه المحرّمات ويأتيها ، وإن اتخذ من الظلمات أستاراً ، أو من التلفيق أعذاراً لما يأثم . وهذا من عجاب أمر الإنسان ، تركبه نفسه فيقترف الإثم ، فتنقلب عليه ، وتتنكر له ، فيروح يلتمس لها الرضا بالمنطق يصطنعه اصطناعاً . أو بالمبررات الواهيــة يختلقها اختلاقاً ، فهل هذه الذبذبة وهذا العجز يفسران مكان الانسان من طبيعته البشرية ؟

« غضب هشام على رجل من الأشراف فشتمه ، فوبخه الرجل فقال : « أما تستحي أن تشتمني وأنت خليفة الله في أرضه ؟ » فأطرق هشام واستحيا وقال : « اقتص » فقال : « إذن سفيه مثلك » فقال : « خذ من ذلك عوضاً المال » قال : « ما كنت لأفعل » قال : « فهبها لله » قال : « هي لله ، ثم لك »فنكس هشام رأسه وقال : « والله لا أعود لمثلها أبداً » .

ثارت نفس هشام على الرجل من فعل أتاه أو من مظهر تبدَّى به ، فدفعته الى شتم صاحبه ، ولما ذكر بما لا يجمل بالخليفة أن يفعل ، راحت نفسه تلح عليه بالتأنيب وتدفعه الى استرضاء الرجل . ويلوح لي أن الشارع كان بصيراً حقـًا حين نفذ الى معنى ثورة النفس فقال بعدم صحة الطلاق في حال الغضب .

* * *

لست في سبيل ان أصوّر الانسان مجرداً من الأداة ، عاطلا من الادراك ، فأجعله براء مما ينحرف ويأثم وأن أسقط عنه التبعات جميعاً ، فما لهذا أقصد ، فهو يمتاز ولا ريب بقدرته الاختزان العقلي ، وعلى ربط ما بين المعاني والصور ، وعلى التوليد والاستنباط وله من غرائزه الخيرة بعض العون على المناضلة ، أمام نزعات الشر وعوامل الفساد ، وما أريد الاَّ الجهر في القول بأن الاصلاح الحق إن أريد للناس لا يغني فتيلاً حين لا يبنى على تقدير ما للطبيعة البشرية من سلطان قاهر على الانسان ، وبتعبير آخر : حين لا يرتكز على مدى طاقة الانسان على النضال أمام غرائزه الفطرية ، ومدى ما في تحسين العوامل الخارجية من عون على الصلاح الانساني ، فماذا عسى أن يردع الجائع المحروم حين تطول يده ، وان حرمت عليه السرقة ، ووضعت لها العقوبات ولو شددت ، وكيف يمكن أن يتيسر الصلاح في عالمنا الأرضي هذا وأمة من الناس تبيد مليون طن من البطاطا لمجرد الابقاء على الأسعار

الراهنة ، وأمم كثيرة في أماكن شتى من الأرض تنام على الطوى ، وتعيش على الشظف والعري وتعايش ضغينة التفاضل وآلام الحرمان مما هو عسير للآخرين ؟

مذ كان الانسان وهو ينشد الصلاح لنفسه ولقد حسبه في التكتل والتجمع ، فتكتل وتجمع ، وفي الدين فتدين ، وفي العلم فنقب وبحث وتفلسف ، وفي الأخلاق فصنف الكتب وأكثر من النصح والارشاد ، وفي القوانين والأنظمة فوضع منها الأفانين الكثيرة ، ولكنه لم يبلغ ما أراد ولم يصنع الآن هذه البراعة فيما يخادع الناس بعضهم .

ومنذ عهد قريب شاعت فكرة الضمان الاجتماعي فأخذت بها بعض الأمم القادرة ، ولكنها لا تعدو العلاج الموضعي ، وهي ليست بمغنية شيئاً في حل مشكلة الانسان العالمية ، فما ارتفاع منزلة الفرد أو الجماعة في شعب دون آخر الاّ السبب يزيد من شقة التفاضل بين الشعوب ويثير حس الكبرياء ، ويقوي العصبيات القومية وان وجدت أمة لها القدرة على الأخذ بهذا العلاج ، فانك لا تجد تلك القدرة في أمم أخرى ، وفي وسعك ان تحكم بأن وسائله غير متيسرة عند أكثر الشعوب .

وها هو ذا الانسان اليوم في مرحلة الأمم المتحدة ، ولكن صوت الأنانة القومية لا يزال مدوياً بالأسماء والأسباب الباطلة ، فالنزاع على السبق في الارتفاق ، وعلى مدّ السلطان وعلى القنبلة الذرية ، ما انفك قائماً على أشده ، وسيظل قائماً إلى أن تقوم حرب عالمية ثالثة تأتي على الأخضر واليابس ، ولعلها تقسر الانسان على التماس دولة واحدة تنهض بالضمان البشري ، وتعالج الناس معالجة نفسانية صحية أكثر منها زجراً بالعقوبات ، أو تشويقاً بخيال المدينة الفاضلة ، وتكفل الحاجات البشرية بنظام واحد للاقتصاد والنقد ، كما هو واحد للصناعة والزراعة والصحة ونحوها وتساوي بين البشر في ظروف الأخذ بالوسائل الثقافية ، وتقضي على الجوع والعري والجهل ، وتنفي العصبيات القومية مكمن الأدواء جميعاً إلى حيث يعلم الناس في أقطار الأرض إنهم بشر وليسوا شعوباً وقبائل تتمايز وتتفاضل بالعرق والأرومة ، وحيث لا تباد المواد الغذائية في مكان وفي الآخر من الدنيا شعب محروم ، ثم إلى حيث تنسجم الأعمال البشرية في وحدة تتحرك وتتجه لخير أهل الأرض .

* * *

فهل تبلغ الانسانية هذه الذروة فيفلح الانسان ؟ إني لكثير الشك ، وإن كنت أرجو لهذا الحلم أن يتحقق .

عمان — شرق الاردن

شكري شعشاعة

وقفة على قبر أخي

بمناسبة الذكرى الخامسة لوفاة المرحوم هيثم

يهيب بأضلعي للشو   ق حادٍ يورث الأرقا
فأعدو عدو مذعورٍ   رأى ما أوجب القلقا
وصدر الأفق ملتهبٌ   يمج النار والعلقا
إذا ماج الهجير ضحى   تلوّى الغصن واصطفقا
ورفّتْ مقلة الأزها   ر مما أبصرت فرقا
كمين مدلهٍ دنفٍ   يعانى الوجد والحرقا
أو السكران حين هوى   وأسلم للكرى الحدقا
فأسرعُ مطبقاً جفني   على مضض إلى قبركْ

* * *

أتيت وللضحى شعلٌ   على الغبراء تلتهبُ
أجر على وجىً قدمي   كشيخٍ هده الوصب
اذا الإعياء أقعدني   وفتْ بساعدي النصب
دعانى في الفؤاد اليـ   ـك شوقٌ حلوه العطب
فأغدو والهجير يمو   ج جيّاشاً ويصطخب
وللأغصان إطراق الـ   ـحزين أمضه النّكبُ
ووجه الأرض مربدٌّ   على قسماته الغضب
كأن الكون شاركني   بما قاسيت من هجركْ

* * *

بسطت وأدمعي تهمي   اليك ذراع ملتاعِ
كما بسط الغريق يداً   وقد أهوى الى القاعِ
إذا لمعت له خلف الدُّ   جى ومضات أطماع .

وأشرق للمنى فجرٌ   جديد غير خدّاع
أطلّ الموت في صور   مروعة وأوضاع
أحال اليأس آمال الـ   ـفتى شهقاتِ أوجاع
ولم يدع الأسى صبراً   بأكباد وأضلاع
كأني ذلك الملتا   ع إذ فكرت في أمركْ

* * *

بثثتك نار ما أُخفي   ولم أكتمك أشجاني
فهل عن فائتٍ خبر   يهدهد غرب أحزانى
دعوتك والظلال علي   ك أرخت فضل أردان
والأزهار من عبث الصبا تهويم سكران
تقلب مقلة يقظى   وتنكس جيد وسنان
دعوتك والأسى ملء الـ   ـضلوع شواظ نيران
فما لبّيتني لمّا   أبحتك سرّ أجفانى
أتبخل بالجواب وما   عهدت البخل في نجركْ

* * *

أخي أسمعت من نادا   ك خلف صفائح الحجر
وعظتَ وما فغرت فماً   وجئت بمعجز السور
وحركت القلوب أسىً   وراء غياهبَ الحفر
فكم في صمتك المرهو   ب للملهوف من عِبرِ
أثرت الداء في كبدي   جحيماً ماج بالشرر
وأجريت الأسى دمعاً   بعينيَّ غير منحسر
وهذا كل ما أبقت   ليَ الأيام من خطر
إذا عصفتْ بيَ البلوى   وجدت الأمن في ذكرك

دمشق   عدنان مردم بك

النظارات

(العدسات) اللاصقة

أو النظارات (العدسات) غير المرئية

نظراً لشيوع استعمال النظارات (العدسات) غير المرئيـة في أمريكا وأوربا ، ولعـدم شيوع استعمالها في بلادنا ، أستميحكم عذراً أن أحدثكم اليوم عنها .

العين جهاز كاسر ، قدرته الإنكسارية (٦٢) كسيرة Dioptrie ومعظم هـذه القدرة الـكاسرة ، يعود الى القرنية التي قدرتها الـكاسرة (٤٥) كسيرة ، وما يتبقـى يعود الى البلورة (Cristallin) والتي قدرتها الـكاسرة (١٧) كسيرة (وحقيقة الأمر أن قدرة العين الـكاسرة أقل بقليل مما ذكر لوجود مسافة بين القرنيـة والبلورة ، وتسهيلاً للبحث اعتبرناها إثنين وستين كسيرة) .

نرى أن معظم قدرة العين الـكاسرة يعود الى القرنية الموجودة بين وسطين قرنيـة انكسارهما متباينـة : أولهما الهواء ، وقرنية انكساره (واحـد) وثانيهما الخلط المائي Humeur aqueuse وقرنية انكساره تتراوح بين (٣٣ر١و٣٤ر١) ودون ارتكاب خطأ فادح يمكن اعتبار قرنية انكسار الخلط المائي معادلة الى قرنية انكسار القرنية الذي هو (٣٢ر١) وهذا يساعدنا على اعتبار وجه القرنية الأمامي وسطاً كاسراً لهذه المجموعة ، وبما أنه محدب فإن قدرته الـكاسرة متناسبة عكساً مع نصف قطر انحنائه، أي كلما صغر نصف قطر انحنائه، زادت قدرته الـكاسرة .

ومن المعلوم أن الأشعة الضيائيـة المتوازية الصادرة عن الأجسام الخارجية والواردة الى العين تنكسر بأوساط العين الـكاسرة ، ويتشكل خيال الأجسام الخارجية على الشبكية إن كانت العين سديدة البصر Emmétrope وإذا كانت القرنية كثيرة الإنحناء أو قليلته ، أو كان انحناؤها غير منتظم ، كانت العين محسورة البصر Miope أو مديدة البصر Hypermétrope أو مصابة بحرج البصر . Astigmatisme ، ولجعلها سديدة البصر، يكفي إذن تبـديل قرنيتها

بقرنيـة ذات انحناء طبيعي (أي نصف قطر انحنائها سبعة وأربعة وثمانون عشر المليمتر ٧ر٨٤ مليمترات)

هذا إذا كان قوة البصر (Amétropie) ناجماً عن القرنية، أما إذا نجم عن البلورة، فيصحح بتبديل القرنيـة الطبيعية بقرنية أخرى ذات انحناء قليل أو كثير حسب المقتضي، وهكذا تصبح هذه العين حديدة البصر .

وإذا نجمت هذه القوة في البصر عن زيادة أو نقص في طول محور العين الأمامي الخلفي، صحح أيضاً بإبدال القرنية الطبيعية بقرنية أخرى موافقة الانحناء .

فتبديل قرنيـة بأخرى هو الدستور الذي بنيت عليه صناعة النظارات (العدسات) غير المرئية . ولما كان من المسلم به عدم إمكان إبدال قرنية بأخرى أستعيض عن ذلك بإبطال عمل القرنيـة البصري وجعلها كأن لم تكن ، والاستعاضة عن قدرتها الكاسرة (بنظارة عدسة) تكون القسم الأمامي لوعاء يحوي مائعاً . وأول من فكر في ذلك هو العالم (توماس يونغ Thomas Young) وذلك سنة واحد وثمانمائة بعد الألف .

ولا أرى مناسباً ذكر المراحل التاريخية التي مرت بها النظارات (العدسات) اللاصقة، بل سأنتقل بكم الى النتائج العملية التي توصل إليها العلماء من ألمان وفرنسيين وإنجلو ساكسون إذ اشترطوا للوصول الى هذه الغاية تحقيق ما يلي :

١ — وضع مادّة عجينية شفافة أمام قرنية العين على أن تكون قرنية انكسارها معادلة لقرنيـة انكسار القرنيـة والخلط المائع، وأن يكون هنالك تماس تام بينها وبين القرنية ، وهكذا تبطل قدرة القرنية البصرية الكاسرة ، ويصبح انكسار الأشعة الضيائية الواردة حذاء الوجه الأمامي لتلك الصفيحة المشكلة من المادة العجينية .

٢ — جعل الوجه الأمامي لهذه الصفيحة بشكل كروي ذي انحناء مناسب ، اذ سيكون هذا الوجه قرنية جديدة تقوم مقام قرنية العين ، ولما كان متعذراً تحقيق ذلك الأمر بمادة عجينية ، أستعيض عنهـا بمائع يوضع أمام العين وينضبط بقشرة زجاجية أطلق عليهـا اسم النظارة (العدسية) غير المرئية . وينطبق المائع تماماً على القرنية ويزاوج أقل عدم انتظام منها وهكذا يبطل عمل القرنية البصري بأن تقوم مقامها القشرة الزجاجية الكروية الشكل

على أن يعطى لها الانحناء المناسب بغية تصحيح قوة بصر العين .

فالنظارة (العدسة) اللاصقة إذن عبارة عن كؤيس يضبط المائع الموضوع أمام العين ، وهي مصنوعة من زجاج شفاف بشكل نظارة (عدسة) وجهها الأمامي محدب والخلفي مقعر مكونة من قسمين : مركزي ومحيطي . ويسمى المركزي : القسم القرني ويسميه الألمان Optik ويسمى المحيطي القسم الصلبي ويسميه الألمان Happtik ووظيفة هذا القسم المحيطي ضبط واطباق القسم المركزي بصورة محكمة وصحيحة على العين .

توضع هذه النظارات (العدسات) بين العين والأجفان ، قسمها القرني يقابل القرنية ومفروق عنها بمسافة ضيقة جداً مملوءة بالمائع (وهو المصل الفريزي أو محلول ثاني فحمات الصودا بنسبة ٢ ٪) وقسمها المحيطي يقابل الصلبة وينطبق عليها تماماً ، وقديماً كان يعمل هذا القسم بلون يحاكي لون الصلبة وعليه ارتسامات أوعيتها ولكن في يومنا هذا تصنع النظارة (العدسة) بقسميها من زجاج شفاف وأحياناً يكون قسمها القرني بلون أزرق فاتح اتقاء أشعة الشمس شأنها شأن النظارات (العدسات) الملونة .

تنطبق هذه النظارة (العدسة) على العين بالخاصّة الشعرية (Force capillaire) وبالضغط النسيمي ويجب أن تكون محكمة الاطباق والسد وإلاّ سال المائع وقامت مقامه فقاقيع هوائية تخل الرؤية وتزيد في قوة البصر .

فاذا كان وجها هذه النظارة (العدسة) متوازيين يصحح حرج البصر سواء كان منتظماً أو غير منتظم بواسطة المائع المحصور بينها وبين القرنية . أما اذا كان هناك قوة بصر كروي عدا حرج البصر ، صحح باعطاء انحناء مناسب لوجه النظارة (العدسة) الأمامي وهكذا يمكن تصحيح سوء انكسار العين بتمامه .

الأساليب العملية

في تطبيق النظارات (العدسات) اللاصقة

لانطباق النظارات (العدسات) اللاصقة على العين لا بدّ من قياس قسميها الصلبي وقسميها القرني كل على حدة :

١ — قياس قسم النظارة (العدسة) الصلبي : يوجد عادة مجموعة نظارات (عدسات)

مرتبة بحسب سعة قسمها الصلبي بالأرقام ١١ ، ٢٥ ر ١١ ، ٥ ر ١١ ، ٧٥ ر ١١ ، ١٢ حتى ١٤ ونصف قطر انحناء القسم القرني لكل منها ٧ ملم ، ولتطبيق إحدى هذه النظارات (العدسات) على العين ، يقطر في العين قطرتان من محلول الكوكائين بنسبة ٢ ٪ لتخديرها وبعد تطهير النظارة (العدسة) تمسك بيد الطبيب من وجهها المحدب بواسطة قطعة من المطاط على هيئة المحجم ووجهها المقعر ناظر إلى الأعلى ويملأ هذا الوجه بالمصل الفريزي ثم يطلب إلى الشخص أن يحني رأسه قليلاً إلى الأمام وأن يوجه نظره إلى الأعلا وبعد أن يرفع الطبيب الجفن العلوي يطبق النظارة (العدسة) بخفة على العين مع المحافظة على المائع ثم يرخي الجفن العلوي فوق النظارة (العدسة) ويطلب إلى الشخص أن ينظر إلى الأسفل ، وبعد أن يتم تطبيق النظارة (العدسة) كما ذكر يرفع محجم المطاط ، فتتثبت النظارة (العدسة) بواسطة الأجفان . ويجب كما قلنا أن لا تكون هناك فقاقيع هوائية بين النظارة (العدسة) والقرنية ، وإذا وجدت تخرج بإجراء ضغط خفيف بواسطة مرود زجاجي على الصلبة حذاء محيط النظارة (العدسة) مع تقطير قطرات متوالية من المائع وهكذا تخرج الفقاقيع الهوائية ويحل محلها المائع . ويجب أن تكون النظارة (العدسة) منطبقة على العين بسطحها المقعر الصلبي لا بحافاتها وان لا يمس وجهها المركزي القرنية ولا اللم limbe تترك هذه النظارة (العدسة) مدة ٥ – ١٠ – ٣٠ دقيقة لمعرفة درجة تطابقها على العين مع ملاحظة الأمور التالية .

ا — أن لا تكون النظارة (العدسة) صغيرة ويعرف ذلك بضغطها على أوعية الملتحمة البصلية واحداثها فقر دم ولو جزئي ، وان لا تكون كبيرة ويعرف ذلك بتحركها بحركة الأجفان وتبديل مكانها بحركة المقلة .

ب — أن يتحملها الشخص بسهولة ولا ينزعج من وجودها فعدم تحمله لها إما أن يكون آنياً ويتظاهر باختلالات مروية (Subjéctif) وأخرى مرئية (objéctif) فالمروية هي خلل في الرؤية كرؤية قوس قزح كما لو كان المريض مصاباً بالزرق (Glaucome) . أما الاختلالات المرئية فهي ضيق وعاء أو عدة أوعية سطحية أو احتقان حول اللم (Limbe) أو أن يكون عدم التحمل متأخراً بعد عدة شهور مثلاً ، إذ ينزعج الشخص من وجودها ولا يمكن معرفة

سبب ذلك ولكن يكتفي بابدال النظارة (العدسة) بأخرى ؟ وهكذا تعرف موافقة القسم المحيطي من النظارة (العدسة) لصلبة العين ويدوّن رقم تلك النظارة (العدسة) ليرجع إليه عند تحرير الوصفة .

٢ — قياس قسم النظارة (العدسة) القرني : هنا يوجد أسلوبان :

الأسلوب الأول . بعد إتمام قياس القسم الصلبي ، تبقى هذه النظارة (العدسة) أمام العين وبذلك نكون قد أبطلنا عمل القرنية البصري وحذف كل حرج في بصرها ، وأصبحت العين ترى بتلك النظارة (العدسة) اللاصقة ، وبعد ذلك تعين قدرة العين البصرية على لوح الحروف ويصحح بسوء انكسارها الكروي (حسور البصر أو مده) بإمرار نظارات (عدسات) كروية (محدبة أو مقعرة) بالتتابع والتسلسل حتى تصبح الرؤية طبيعية بإحدى هذه النظارات (العدسات) ثم تقاس المسافة الواقعة بين ذروة النظارة (العدسة) اللاصقة والنظارة (العدسة) المصححة بآلة خاصّة .

مثال ذلك : عين طبقت لها النظارة (العدسة) اللاصقة التي قيمتها بالنسبة الى القسم المحيطي (١١ر٥) ثم صحح سوء انكسارها بنظارة (عدسة) مقعرة (— ٦) وكانت المسافة بين ذروة النظارة (العدسة) اللاصقة ومركز النظارة (العدسة) المصححة (١٢) ملم تحرر الوصفة على الشكل الآتي :

O. D. 11,5 / 7 , Mettez — 6
D. P = 12 Mm

وترسل هذه الوصفة الى المعمل المختص لصنع نظارة (عدسة) لاصقة حسب هذه المعلومات والمقاييس .

الأسلوب الثاني : يعين أولاً سوء انكسار العين بالطريقة المعروفة والمبنية على سير ظل الحدقة والمعروفة تحت اسم (Skiascopie أو Pupiloscopie) ثم تفحص العين بمقياس العين Javal ويعين بواسطته نصف قطر انحناء القرنية مع معرفة ما يقابله من درجة القدرة الكاسرة لتلك القرنية ، ثم يطرح منها كسيرات حسور بصر تلك العين أو يزاد عدد كسيرات مد بصرها .

مثال ذلك : عين مصابة بحسور بصر قدره (١٠) كسيرات ونصف قطر انحناء قرنيتها

(٧) ملم يقابله (٤٧ر٤٢) كسيرة لقدرة الإنكسار ، فلتصحيح حسور بصر تلك العين ، يجب تنقيص انحناء قرنيتها لنصف قطر انحناء يقابل (٣٧ر٤٢) كسيرة. وبعبارة أخرى إذا طرحنا (١٠) كسيرات من (٤٧ر٤٢) يبقى لدينا (٣٧ر٤٢) فاذا نظرنا الى هذا الرقم على قوس جهاز (Javal) وجدنا أنه يقابل رقم ٨ر٩ أي يجب أن يوضع لهذه العين قرنية نظارة (عدسة) نصف قطر انحنائها (٨ر٩) وهكذا يصحح سوء انكسار تلك العين وتحرر الوصفة كما يلي :

O. D. = 11, 5 / 8 , 9

أما اذا كانت العين مديدة البصر بقدر (٥) كسيرات فيضاف هذا العدد الى (٤٧ر٤٢) وينظر الى ما يقابل (٥٢ر٤٢) على جهاز Javal فيكون (٦ر٣) ثم تحرر الوصفة بحسبه. وهنالك أسلوب آخر لأخذ قياس صلبة العين بواسطة القالب ، وذلك بعد تعيين سوء انكسار هذه العين ثم يرسل هذا القالب مع رقم سوء الإنكسار الى المعمل الذي يصنع بدوره هذه النظارة (العدسة) اللاصقة حسب القالب ورقم سوء الإنكسار

وختاماً لابدّ لي من ذكر الاستطبابات الهامة للنظارات (العدسات) اللامرئية ، وذكر أفضلياتها .

توصف النظارات (العدسات) اللاصقة للمصابين بحرج البصر غير المنتظم Astigmatisme irrégulier وغير قابل التصحيح ، وهذا ما نصادفه كثيراً مع الأسف في بلادنا من جراء كثرة حدوث قروح القرنية ، كما توصف للمصابين بمخروط القرنية Kératocône الذي لا يصحح بالنظارات (العدسات) العادية .

أما أفضلية استعمال تلك النظارات (العدسات) فهي حلولها محل النظارات التي تشوه منظر الوجه لذلك شاع استعمالها عند الممثلات والممثلين وعند المتأنقات كما استعملها الطيارون بغية التخلص من إزعاج النظارات .

ومن حسنات هذه النظارات (العدسات) غير المرئية ، المحافظة على ساحة بصرية طبيعية التي يشوشها إطار النظارات ، وعدم تشكل بخار الماء عليها لأن حرارتها تعادل حرارة الجسم ، ذلك البخار الذي يتراكم على زجاج النظارات في الأيام الباردة .

دمشق دكتور ممدوح الصباغ

الماضي الخالد

بالله ياليلُ هل واسيت أشجاني !!   وهل رثيت لآلامي وأحزاني !
أثرتَ في القلب ذكرى كاد يدفنها   وهجتَ جُرحاً بليغاً كاد ينساني
قد كان لي في الهوى إلفٌ يؤانسني   وكنت بالروح أرعاه ويرعاني
وكان ملء حياتي بهجةً وسناً   وكان سلوة قلبي المرهق العاني
كم ضمنا في الليالي مجلسٌ عطرٌ   يزهو بكل بديع الحسن فتان
في جنة الحب ترعانا خمائلها   وأين من سحرها فردوس رضوانِ !
تنساب أرواحنا في الجو هائمةً   في قدسها فوق هذا العالم الفاني
دنيا من الطهر لم تُنقل بها قدم   وعالم لم يُتح قبلاً لانسان
لا تسمع الأذن في مسراه لاغيةً   ولا تحسُّ سوى شدو وألحانِ
ترفُّ من حولنا للحب أجنحةٌ   بيضٌ ويسمو بنا منها جناحان

* * *

عصر الهوى قد مضى في عز بهجته   وكأسه نزعت من كفِّ ظمآن
أيامه الغيد ولّت في نضارتها   ولم تخلِّف سوى وجدي وحرماني
أحيا غريباً وأبياتي تجاورني   مشرّد الروح في أهلي وأوطاني
كم ليلة بتُّ لا تنجاب ظلمتها   أطوي فؤادي على همي وكتماني
أساهر النجم لا خلٌّ يؤانسني   سوى دموعي وأشواقي وتحناني
يلوح لي طيفه يسعى بلا قدم   كالحلم يسبح في أجفان وسنانِ
هيهات أن تمّحى ذكراه من خلدي   أو من فؤاديَ أو حسّي ووجداني
يفنى فؤادي وتفنى كل جارحةٍ   مني ولكن حبي ليس بالفاني
وكلما جنَّ ليلي رحت أسأله   بالله يا ليل هل واسيت أشجاني !!

كلية العلوم   عفيفي محمود عفيفي

قصة تاريخية

الشيطان - الملاك !!

حدَّث محمد بن جعفر الزيدي عن عروة بن الزبير قال :

كان عمير بن وهب شيطاناً من شياطين قريش ، فاتكاً لا تؤمن بوائقه ، غضوباً للتوافه ، لم يعرف بحلم ساعة ، يطلب ما يشتهي ، لا يحول بينه وبين شهواته أي حائل من نبل أو كرم أو شفقة أو إنسانية ، فان استعصى عليه مطلب اقتنصه بحد السيف مجابهاً أو غادراً أو خائناً . فلما أكرم الله الانسانية فأرسل إليها محمد بن عبد الله هادياً ومبشراً ونذيراً اندفع عمير بن وهب يؤذي الرسول ، وينكل بالمؤمنين ، وتفنن في ضروب الأذى وأساليب التنكيل ، ولقى المسلمون منه كل عناء ، ولحقهم من شروره مختلف أنواع الإيذاء ، وكان له ابن لا يقل عنه شراً هو وهب بن عمير . وقد اشترك هو وأبوه في حرب المسلمين يوم بدر ، أما عمير فأفلت من القتل والأسر ، وأما وهب فقد وقع أسيراً في يد رفاعة بن رافع !

* * *

قال عروة : مضت أيام وأيام على يوم بدر ، وأعلام قريش في مكة أو من بقي من أعلامها بعد بدر ، مطأطأة رؤوسهم ، مقوّسة ظهورهم من ثقل ما حملوا يوم بدر من عار ، وهول ما فقدوا من أبطالهم ورجالاتهم ، فلما استبدَّ بقلوبهم الغيظ حتى كادت تتمزَّق ، وألحَّ الحقد عليهم حتى أكل نفوسهم ، كانوا يخرجون زرافات ووحداناً إلى بطحاء مكة يلتمسون السلوة من الآلام ، أو يتذكرون تلك الآلام ، ويبحثون عما يغسل عنهم عار بدر .

وفي صبيحة يوم خرج عمير بن وهب شارد الفكر ، مسلوب الفؤاد فاذا به يجد صفوان ابن أمية جالساً في (الحجر) مطرق الرأس ساهماً ، يفكر في أبيه الذي صرعه المسلمون يوم بدر ، وما عساه يفعل لإدراك ثأر أبيه ، وبينما هو كذلك إذا به يسمع صوتاً يناديه : عم صباحاً يا ابن أمية ، ما جاء بك إلى الحجر في البكور يا صفوان ؟ قال صفوان : بالله لا تناديني

منذ الساعة بابن أميّة ، فلست جديراً باسم أبي حتى أدرك ثأره ، إننا يا عمير قد أمسينا وأصبحنا فاذا بنا كالبهم السائبة لا راعي لها ولا مرشد، فهذا مشرّق وذاك مغرّب ، ولقد ترى الصديقين يتلاقيان في طريق واحد فما يرى أحدهما صاحبه من هول ما يعتمل في نفسه من خزي بدر ، وما جرّه علينا مطلعه المشئوم من فقدان الأحبة البهاليل ! !

قال عمير مبتسماً : ممن تأخذ ثأرك يا صفوان ، أمِن محمد أم من أصحابه ؟! فيتململ صفوان ويضطرب ويقول : والله يا عمير لقد رأيت يوم بدر أناساً كالناس ، يضربون ويقتلون فإذا أهويت على أحدهم بسيفي زاغ في الناس فما أبصر غير سيفي في عنق أخي أو عمي أو ابن عمي. ولقد كان يستدبرني أحدهم يقاتل قومنا حتى إذا أمكنت منه وعلاه السيف رأيت الرجل من ورائي والسيف في ظهر أحد أبناء العشيرة ، فإن كان يا عمير هذا شأن واتريَّ فما عساي أفعل بهم ، وكيف أدرك ثأري ؟

قال عمير وقد بدت على وجهه علائم الاستهزاء بصفوان : أجل يا صفوان بن أمية ، لا يزال الرعب يأكل كبدك مذ لاقيت محمداً وأصحابه يوم بدر ! أي خير ترجوه في العيش بعد أن نحر صابئة محمد غطاريف قومك نحر الجزور ، وبعد أن خلفت عندهم من بقي لنا من الأعلام الصناديد ؟ قال صفوان : والله ما في العيش بعدهم خير ، ولست أرى بعدهم إلاّ همّاً ملفوفاً بهم ، وحياة مجللة بعار ، وقروماً يرسفون في الذُّل عند أعدائنا الأشرار ! يا عمير هل من مخلص ينجيني من همٍّ أعانيه ، وعار يلاحقني ؟ : قال عمير : وقد لمعت بالشر عيناه ، وانقلبت سحنته : صدقت يا صفوان ! لا خير يرجى بعد قتل من قتل وأسر من أسر ووالله لولا دينٌ عليّ ، وليس عندي له قضاء ، ولولا عيال أخشى عليهم الضياع بعدي . لركبت إلى محمد حتى أقتله وأهريق في أصحابه فإنّ لي قبلهم علة . إبني وهب أسير في أيديهم فإمّا أبرأت علتي منهم، وفككت أسيري ، وأما قتلت محمداً وقُتلت فيه ! ! قال صفوان : وقد اغتنم الفرصة : يا أبا وهب ليس فينا من هو مثلك شجاعةً وفتكاً ، وأنك تغسل عن قومك عار الأبد . وترفع رؤوساً قد نكّسها الذل ، وتقيم أعواداً قد أحناها الهوان ، وترغم الدنيا على التحدث باسمك في كل مكان وكل جيل ، وتخلف من بعدك ذكراً حسناً ليس لقصي بن كلاب ولا لابنه عبد المطلب ! سيقول الناس : لقد أنقذ عمير ابن وهب

شرف قريش ، وكتب لها العزة والخلود ! قال عمير وقد أربدَّ وجهه : ديني وعيالي يا صفوان ؟ قال صفوان : عليّ دينك أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا . لا يسعني شيء ويعجز عنهم !. قال عمير : حقًّا ما تقول ؟ ! قال صفوان نعم . نعم. قال عمير : لا اقالة ولا استقالة ! يا صفوان اكتم شأني وشأنك ! ثم انطلق صفوان إلى مهمته ومضى عمير فشحذ سيفه وسمَّه وانطلق إلى المدينة ! !

* * *

في مسجد الرسول (ص) بالمدينة يجلس عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر ويتذاكرون ما أكرمهم الله به من نعمة النصر ، وعزة الدين قال عمر : لقد كان يوماً من أيام الله ، وإن أصدق فلهذا اليوم ما بعده « لقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون . . . (الآيات) »

قال فتىً من شباب المسلمين كان له يوم بدر بالمشركين أفاعيل هو مُعَاذ بن عمر بن الجموح: والله يا أبا حفص لقد كنت أعمد إلى الرجل بسيفي أضربه فإذا برأسه تطير قبل أن يمسها السيف ، ولقد كنت أكون وما بيني وبين المشرك أحد فأسرع إليه بضربة . فإذا قد نبع بيننا رجل فضربه قبل ان أضربه . ثم لا أدري بعد أصعد السماء أم ابتلعته الأرض ، فأيقنت إن الله هو الصانع ، وإن الله لا بدَّ ناصر جنده ، وبالغ أمره ، وبينما القوم كذلك وإذا برجل ينيخ بعيره على باب المسجد فينظرون إليه . قال معاذ أنه متوشح سيفه ، تقدح عيناه بالشرر ، وتنم سحنته على الغدر وسوء الطوية ، قال عمر — وقد انتفض انتفاضة عرفها القوم — : هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ما جاء إلاَّ لشر ، وهو الذي حرَّش بيننا وحزرنا للقوم يوم بدر ! ثم هبَّ وهبَّ من حوله وقوفاً ، وأيديهم على مقابض السيوف . قال عمر: احذروا الرجل وخذوا عليه الطريق حتى أدخل إلى رسول الله (ص) فإن أذن له النبي بالدخول فادخلوا قبله على رسول الله فاجلسوا عنده واحذروا عليه من هذا الخبيث فانه غير مأمون . وأنتم أنصار الله وجند رسوله فكونوا عيوناً على هذا الكلب وخذوا حذركم . ثم دخل عمر إلى رسول الله (ص) . فقال يانبي الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه ! قال ص : فأدخله عليَّ ! فخرج عمر إليه . فأخذ بحمالة سيفه في عنقه

فلببه بها . وقال للانصار أدخلوا على رسول الله فدخلوا ودخل عمر وهو ممسك بتلابيب عمير فقال ص : حين رآه كذلك : « أرسله يا عمر » « ادن يا عمير » . فدنا ثم قال عمير : عموا صباحاً ! فقـال ص : « قد أكرمنا الله بتحية خيرٌ من تحيتك يا عمير . فالسلام تحيـة أهل الجنة !! » . فقال عمير : أما والله يا محمد ان كنت بها لحديث عهد . قال ص : فما جاء بك يا عمير ؟ قال عمير : جئت لهذا الاسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه ! . قال ص : فما بال السيف في عنقك ؟ قال عمير : قبحها الله من سيوف وهل أغنت عنا يوم بدر شيئاً ؟ . قال ص : أصدقني ما الذي جئت له ؟ . قال عمير : ما جئت إلا لذلك ! . قال ص : « بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر فذكرتما أصحاب القليب من قريش . ثم قلت لولا دينٌ عليّ وعيالٌ عندي لخرجت حتى أقتل محمداً . فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك على ان تقتلني له ، والله حائل بينك وبين ذلك . قال عمير بعد صمت طويل : أشهد أنك رسول الله ! قد كنا يا رسول الله ! نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء ، وما ينزل عليك من الوحي ، وهذا أمرٌ لم يحضره إلا أنا وصفوان ، فوالله إني لأعلم ما أنبأك به إلا الله ! فالحمد لله الذي هداني للاسلام وساقني هذا المساق ، أشهد ألا إلـه إلا الله . وأن محمداً رسول الله ، ثم وقع مغشياً عليه ، فلما أفاق قال (ص) لأصحابه : فقهوا أخاكم في دينه وأقرءوه القرآن . وأطلقوا له أسيره » !! قال عمير : يا رسول الله اني كنت جاهداً على اطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله عزّ وجل . وأنا أحب أن تأذن لي في المشركين وفي دينهم ! فأذن له عليـه السلام ، وهكذا تحوّل شيطان قريش وفاتكها الجبار الى ملاك رحيم ، وقطعة من الايمان الحي ، وهكذا أصبح عمير بن وهب الذي جاء لاغتيـال محمد — من أصدق المؤمنين به الحاجفين عنه أصبح أشد الناس أذى للمسلمين ، أشد الناس حفاظاً على الرسول ومحاماة عن الاسلام .

قال عروة : وقد حدّث عمير عن نفسه فقال : والذي بعث محمداً بالحق بشيراً ونذيراً لقد بارحت مكة وما أحد من خلق الله أبغض الى قلبي من محمد ، واني لعازم على قتله ولو حال بيني وبينه أهل الأرض قاطبةً ، فما أن وصلت الى المدينة حتى أتى في روعي أن السماء توشك أن تنقض على الأرض ، وما أن وصلت إلى باب مسجد الرسول حتى خيل اليّ أن بعيري يسخر مني . وان الأرض قد كرهت أن تحملني ، وتبدى لي المسجد أسيافاً متلاصقة .

وخلت كل ذرة من الهواء قد غدت سيفاً مشدوداً لمحاربتي ، وما أن لببني عمر حتى خلتني بين صخرتين عظيمتين تضغطان عظامي ، حاولت أن أصرع عمر . وحدثتني نفسي بذلك ولكنني ثبت الى نفسي وقلت لقد جئت لمن هو أعظم من عمر ، فان شاجرته حيل بيني وبين طلبتي فأمسكت . فلما دخلت على الرسول ، ولا أحد أبغض إلى قلبي منه ، وجدت من حوله رجالاً قد شدّت أبصارهم اليّ وان لها لبريقاً يصرع الشجعان غيري ، ولكنني لم أحفل بهم ، وحادثت الرسول وأطلت علّي أصيب من القوم غرّة ، فاختلس أنفاسهم ، ولقد واتتني الفرصة غير مرة . فقد كان القوم كلما نطق الرسول خشعت أبصارهم فأريد اغتنام الفرصة فاذا بيني وبين الرسول حائل . وأقسم لقد كنت كلما تحسست مقبض سيفي وجدت حولها عشرات من الأيدي كالحديد أحسها ولكن لا أرى أصحابها ، وكلما هممت بذلك رأيت أسيافاً وحراباً تسد الفضاء بيني وبين الرسول ، وتبدّى لي الرسول بعيداً ، فأيقنت أن الرجل مصنوع له ، وان الله حائل بيني وبينه كما قال محمد (ص) . فلما كذبت على الرسول . وما أراني كذبت غيرها والحرب خدعة — فواجهني بما كان بيني وبين صفوان أيقنت أن الأمر جد لاهزل فيه ، فارتجّ عليّ وعرضت على عقلي ما أنا فيه ، واختبرت نفسي ، وخبرت مالديّ من شواهد على صدق محمد فلم أتمالك أن قلت أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله . وأضحى قلبي معلقاً بمحمد وما من أحد من خلق الله أحبُّ الى قلبي منه ، وغادرت المدينة وكل قطرة من دمي قد وهبتها لرب محمد ، ولفداء محمد ، ودين محمد . وهكذا الايمان يا بنيّ إذا خالطت بشاشته القلوب ، يحوّل النار نوراً والشياطين ملائكة . والقساة رحماء . وكان الله ورسوله أحبُّ إلى المؤمن من نفسه وولده والدنيا وما فيها ! !

* * *

صفوان بن أمية في مكة بعد أن أدّى عن عمير دينه وضمّ إليه عياله . أخذ يطوف بأرجائها — لا يقر له قرار — يعلوه البشر ويشرق وجهه إشراقاً عجيباً . وها هو ذا كلما لقي قوماً أو مرّ على محفل ، وقف بينهم قائلاً : أبشروا بوقعة تأتيكم في أيام تنسيكم وقعة بدر ! والناس يتساءلون عما عسى أن تكون تلك الوقعة ! فراقبوا صفوان حتى علموا أنه يكثر من سؤال الركبان عن أبي وهب عمير بن وهب ، فأيقنوا أنّ صفوان لابدّ أن يكون قد أرسله لاغتيال محمد ، وما هي إلاّ أيام حتى قدم عمير بن وهب فتلقاه صفوان قائلاً : مرحباً بالحبيب

ابن الحبيب مرحباً بأبي الأبطال ! وفخر الرجال ! مرحباً بعز قريش وغاسل عارها . ومدّ صفوان ذراعيه ليحتضن عميراً ، وعمير يبتسم في سخرية واضحة ثم يقول ويده تجرد السيف من غمده : يا صفوان بن أمية . لقد علمت قريش أن محمد بن عبد الله من أشرفها بيتاً ، وأصدقها حديثاً ، وأعرقها بالأمانة ، ألم تستبشر قريش بمولده يوم ولد . ألم تحكّمه في أمورها شاباً ورجلاً ، ألم تلقبه بالأمين وهو أعز ألقابها . هل جرّبتم عليه كذباً ؟ هل عرفتموه بخيانة ؟ يا قوم لقد آمنت بالله ورسوله ، وشهدت وأشهد أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله ، والذي شرّف محمداً بالرسالة العظمى لأدعونّ إلى الله في أجوافكم ولأملأنها عليكم حرباً أو تؤمنوا بالله ورسوله وهذا سيفي . فمن شاء أن تثكله أمه فليلقني بما أكره ! ومضى الى بيته . . أما صفوان بن أمية فقد خارت قواه وزاغت عيناه . وانكبَّ على وجهه يسمع لعمير فاغراً فاه ، ومن حواليه رجال معزفون في صمت رهيب يعجبون لعمير وكيف انقلب من عداوة محمد الى الايمان بما جاء به ؟ هذا الذي خرج للغدر والاغتيال كيف يعود داعياً الى ما يدعو اليه محمد . ثم انتبهوا وأفاق صفوان وساروا الى البيت الحرام فاذا بعمير واقف كالأسد الهائج بيده سيفه وهو يقرأ آيات من القرآن: « ق . والقرآن المجيد ، بل عجبوا أن جاءهم منذرٌ منهم ، فقال الكافرون هذا شيءٌ عجيب . ءَإذا متنا وكنا تراباً ذلك رجعٌ بعيد، قد علمنا ما تنقص الأرضُ منهم، وعندنا كتابٌ حفيظ . بل كذّبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج . أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيّناها وما لها من فروج، والأرض مددناها وألقينا فيها رواسيَ وأنبتنا فيها من كل زوجٍ بهيج . تبصرةً وذكرى لكل عبدٍ منيب » .

هذا هو عمير يقرأ القرآن ، وقد أعرض عنه من أعرض من رجالات قريش واستمع إليه من استمع فأخذ القرآن قلوباً مستعدة للايمان . فدخل كثير من العرب الاسلام على يدي عمير الذي أقام بمكة داعياً إلى الله بإذن رسوله ، يؤذي من يتعرض له أو لرسوله أو للاسلام بسوء وهكذا أصبح عمير قوة للاسلام في قلب مكة، وهكذا « يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين »

وبعد فهذه يا شباب الاسلام قصة البطولة المؤمنة ، والشجاعة البصيرة ، والقوة العاقلة ، فاسألوا المكابرين من خصومكم هل أسلم عمير بن وهب مكرهاً أم أخذته قوة الحق بوسائل الاقناع بعد أن عرض كل أمره على عقله وقارن ماضي محمد بحاضره فدخل في دينه طائعاً مختاراً ؟ يا شباب الاسلام هيا إلى الله ، جدّدوا الايمان به وجاهدوا في سبيله حق الجهاد ، هو اجتباكم لرسالته ، هيا إلى الله ، وخذوا من عمير مثلاً ، واجعلوا منه قدوة لمن كان يؤمن منكم بالله واليوم الآخر.

الدكتور محمود فياض

غروب شمس

(مهداة إلى روح شقيقتي الوحيدة
التي رجعت إلى ربها راضية مرضية)

تركتِ الدار موحشة الجنابِ   ورُحت وأنتِ في شرخ الشبابِ
دفنتك في التراب وكنت عندي   أعزّ الخاطرين على التراب
وأودعتُ الثرى كنزاً ثميناً   من الأخلاق والشيم العِذاب
وغاب مع السكون الجهم صوتٌ   على نبراته يغفو اضطرابي
وغيِّب في ظلام القبر نور   وخلَّف لي لهيباً من عذاب
يؤرّقني غيابك من حياتي   وما أقسى مرارات الغياب !
تلمستِ النجاة فرُحت جسماً   طريّاً العود خفّاق الاهاب
وعُدتِ إليّ لا نفَس خفوق   ولا روح يلطف من مصابي
ولو أني استطعت بذوْب قلبي   فديتُك من أعاصير التباب
أنادي باسمك الغالي ، ولكن   أراك عييت عن رد الجواب
وكنتِ إذا سكتُّ ملأتِ نفسي   بألوان الحديث المستطاب
أنادي ... والأنين رجيع صوتي   وأهتف والجواب صدى انتحابي
وتغلبني الدموع . . . وأي صبر   يقرُّ أمام دمع في انسكاب !
وأي مصيبة نزلت بساحي !   وأي رزيئة وقفت ببابي !
وما بالهين الخطب افتقادي   أعزّ الأقربين إلى انتسابي
فقدتك وافتقدت عزاءَ نفسي   وكنت لي العزاءَ وقد خلا بي !

***

أراكِ ـ وقد أراكِ الموت حلماً ـ   بسمتِ فقد خلصت من العذاب

رؤى الدنيا كواذب خادعات   وقد صُبغت بألوانٍ كذاب
نساق إلى مفاتنها ، ونمضي   مُضيَّ المصحرين الى السراب
ونعشو كالفراش على شعاع   جحيميّ الحرارة واللّهاب
نؤمّل ما نؤمّل ثم تُطوى   مع الأنفاس آمالٌ خوابي
تعللنا بمعسول الأماني   وتمزج بالتعلة كلَّ صاب
ونأخذ من يد الأيام كأساً   تداولُ بالقديم من الشراب
نجرّعه وليس لنا سبيل   إلى الشكوى من الألم المذاب
وتسلبنا الأعزَّ ، وليس حرصٌ   بمانع كفها عن الاغتصاب
مضت بالأولين ، وسوف تمضي   بنا وبغيرنا من كل باب
نعيش وحولنا أهلٌ وصحبٌ   ونحن من الحياة على اغتراب
وما حمل المرارة غيرُ حي   زواه الموت عن هذا الركاب
يشيّع نفسه في كل حين   وراء الراحلين من الصحاب ..!

***

شقيقتيَ العزيزة ! لست أدري   أكنتِ خيال وهمٍ في عبابي ؟!
أصائل موج أيامي أكانت   ليالينا بها خفق الشهاب ؟!
وكنا ناعمين على صبوح   رخيّ الريح يمرح في انسياب
يوحدنا الحنان الجمُّ حتى   كأن رغاب نفسك من رغابي
فلم يعصف برحلتنا خلافٌ   ولم نعرف لجاجات الشغاب
ولم يلمم بنفسينا خصام   ولا خطرت بنا نسم العتاب
فما لك قد قطعت سُراك منها   وعوجل نجم عمرك باحتجاب ؟!
وروّع ليلنا الزاهي بفجر   دميم الوجه مهتوك النقاب
وهبت في الصباح الطلق ريح   تسوق إليه داكنة السحاب
وزُلزلت السفينة وهي تمضي   تشق عباب أمواج غضاب
منكسة الشراع كأن نعشاً   سرى في اليمّ ما بين اصطخاب

تمرُّ بها العواصف معولات   كأن سبيلها أحشاءُ غاب
وقهقهت المقادر وهي تبدو   مسلحة بأظفار وناب
فألقى بي الأسى في غير وعي   شريد الفكر مشدوه الصواب
أجوب الشاطئين غريب دار   مطلسمة المعالم والشعاب
كأن نسيمها أنفاس جنٍّ   وأن حفيفه صمت اليباب!
محا منها البشاشة هول يوم   أساء إلى مغانيها الرطاب

* * *

شقيقتيَ العزيزة! أي خطب   بليتُ به ولم يك في حسابي!
كتاب حياتك اختتمته بلوى   فكان الرزءُ خاتمة الكتاب
طويل فصوله مِحنٌ وحلمٌ   سريع الخطو ومضيُ الوثاب
طواه الموت مخترماً عجولاً   كما يطوى الحديث بالاقتضاب
وكانت قصة القدر المعمَّى   وكانت قصة الزمن المحابي
صبرت على متاعبها، وكانت   شجونك في فؤادي كالحراب..

* * *

شقيقتيَ العزيزة أي ذكرى   معطرة سَمَتْ عن كل عاب!
حديثك في فم الأهلين شهدٌ   وبُعدك عن ديارك كأس صاب
وما عوّدتني في العيش نأياً   فكيف وقد رحلت بلا إيابِ!
ذهبتِ شهيدةً للقاءِ ربٍّ   كريم الأجر، مرجوِّ الثوابِ
حملتِ على يديك كتاب طهرٍ   وعفّة خاطرٍ، وتُقى شبابِ
رحلتِ وأنتِ باسمةٌ رضاءً   وما خلّفت لي إلا اكتئابي
سأمضي بعد موتكِ في حياتي   كما يمضي المغامر في الضبابِ
خلَتْ من كل سلوان وشاهت   وقد ضاقت بأحزاني رحابي...

حسن كامل الصيرفي

السلم الدائم

والحلف العام

« الناس كلهم إخوة والدنيا وطن كل إنسان » ! !
زينون : الفيلسوف الاغريقي

بدأ الإنسان مغيراً بطبعه غاصباً فكانت تغير القبائل الأقل حضارة على البقاع الغنية الأكثر حضارة فاذا جمعت هذه بين الحضارة والقوة صدّتها وإلاّ غمرتها الأولى وبدأت الحضارة تنمو من جديد كما حدث في مصر في عهد الهكسوس وفي بابل في عهد البابليين والأشوريين ، والكلدانيين ، وفي كنعان عند دخول اليهود ، وفي البلقان عند إغارة الأغريق على الايجيين الذين أسسوا الحضارة الإيجية ، وفي آسيا الصغرى عند هجوم القبائل الآرية المختلفة. ولكنا مع ذلك نجد العقل البشري في نظره الى الإنسانية يتغير ويقابل ذلك تغير في الكتب السماوية القديمة كما هو ظاهر من مقارنة أسفار التوراة الأولى التي كانت تحث على سفك الدماء بالأسفار الأخيرة التي ذكر فيها السلم الدائم ، واخوة الناس في الإنسانية ، والمساواة بين القوي والضعيف ، ولو أنّ كل ذلك ممزوج بفكرة سيطرة اليهود ، وكذلك ترى الأغريق كانوا في أول أمرهم يقسمون العالم إلى أغريق وبرباريين ، وكانت كلمة بارباريين تشعر بشيء من الغربة والاحتقار مثل كلمة جنتيل عن اليهود . ولكن في النهاية صارت الفلسفة الأغريقية تنظر نظرة أعم إلى الإنسانية ولاسيما مذهب زينوذ . ومن المأثور عنه قوله « إن الناس كلهم اخوة والدنيا وطن كل إنسان » إلاّ أننا مع ذلك لا نجد محاولة لتأسيس حلف عام ، لقد تحالفت بعض المدن الأغريقية لأغراض دينية كرعاية المعابد أو لتقرير ما يجوز عمله في الحرب وما لا يجوز وهو عمل إنساني وهو ما قام به الحلف الامفكتيوني ، أو لأغراض سياسية كصد الفرس وهو غرض حلف ديلوس الذي تحوّل إلى امبراطورية أثنية ونشوة القوّة والظفر ، ولدت الصلف والكبرياء الحربي وحب الاعتداء فأغارت أثينا

على سرقوزة في صقلية . وإذا قرأنا ما كتبه ثيوكيديدس وجدنا أنه يعزو الى الإثينيين الآراء والأقوال التي كنا نسمع بها عن النازيين والفاشست أي قولهم أن الحرب واجبة ، وأن من حق القوي أن يستعمل قوته ، وأن يسيطر على الضعيف . ولكن هذا الاعتداء كان من أسباب سقوط أثينا ، وصار ملك الفرس حكماً بين الدويلات الاغريقية إلى أن ظهرت مقدونية وسطا الإسكندر المقدوني على الشرق . ومن الأساطير المأثورة أنه وجد في بلدة بها عقدة قيل أن من يستطيع فكها يسود العالم ، فأخرج الاسكندر سيفه وقطعها به بدل أن يحاول حلها وهذه هي العقدة المعروفة بالعقدة الجوردية فصارت مثلاً يتمثل به في السياسة عند ما يحاول أن يحل إنسان مشكلة دولية بالسيف بدل حلها بالتفاهم والمفاوضة والتراضي وتجزأت دولة الاسكندر بعد موته وغزت روما أكثر العالم المتحضر حول البحر الأبيض وما يلي ذلك واستغلت الدول وفاخرت بالسلم الروماني ولكنها لم تستطع منع الحرب حتى بين جيوشها ، ثم سقطت . وكان يظن أن المسيحية ستمنع الحروب وتحقق السلم العام فاذا كل ذلك حلم جميل وكانت الفكرة السائدة أن العالم المسيحي عالم واحد وأمة واحدة ، ولكنها فكرة لم تحقق كما أن الأوروبيين كانوا يعدون باقي العالم من غير المسيحيين خارجاً عما تقتضيه العهود المرعية . وما لبث أن ظهر فشل البابوات في تكوين امبراطورية دينية عالمية ونشأت فكرة التوازن الدولي . وكان أول من جاهر بضرورة حلف دولي عام سولي وزير هنري الرابع، ولكنا لو فحصنا هذا المشروع وجدنا تحته أغراضاً سياسية خاصة بفرنسا وتأمينها وصيانة سلامتها من دول أسرة الهابسبرج التي كانت تخشاها كما تخشى الدول الجرمانية في العصر الحديث ، والحقيقة أن كل مشروع من هذه المشاريع إنما يلجأ إليه الساسة عند الضرورة . ثمّ أننا نجد الدول الأوروبية في عهد لويس الرابع عشر صارت تنادي بضرورة التحالف ضده لمنع اعتدائه على جيرانه الضعفاء ، وكثر الكلام في ضرورة تأمين الضعيف من سطوة القوي ولكن الدُّول مالبثت أن اقتسمت مع حفيده شعوب الامبراطورية الاسبانية الضعيفة .

ثم جاءت الثورة الفرنسية فخطب الثوار الفرنسيون زاعمين أنهم يريدون خير الإنسانية، وكان منهم من يسمي نفسه خطيب الانسانية أو محب الانسانية، وكانت أكبر سبة عندهم أن يسموا

بت الوزير الانجليزي عدو الجنس البشري ، وأعلنت الحكومة الفرنسية إنها حليفة لجميع شعوب العالم ضد الطغاة ووعدت الشعوب المغلوبة على أمرها بتحريرها . ومن العجيب أن بعض الأدباء بيننا ممن تثقف بالثقافة الأدبية الفرنسية ولم يعي عظات التاريخ كان إلى عهد قريب لا يزال يغتر بهذه الأقوال التي ظهر بطلانها من عهد بعيد، فقد صارت جيوش الجمهورية الفرنسية جيوشاً غازية مستعمرة مستغلة، واستفحل ذلك في عهد نابليون بونابرت فاتحدت ضده الدول وزعمت انها تحاربه كي تحرر العالم من طغيانه، وصارت تعد كل أمة بالحرية، ولكن ما لبث ان سقط نابليون حتى اقتسمت الدول المتحالفة شعوب العالم ونسيت وعودها .

وصار نابليون في منفاه يلقي على تابعه منثولون أحاديث السلم العام والحلف الانساني الذي عهد لابنه ان يحققه عند ما يستطيع أن ينال الملك . وفي هذه الأحاديث يقول نابليون إن الحلف الانساني لا يحقق بقطع العقدة الجوردية بالسيف كما فعل الاسكندر وكما فعل هو وإنما يكون بالتفاهم . هذه بعض أحاديث نابليون في جزيرة سنت هيلانة التي نُفِيَ إليها وهي أحاديث تخالف تاريخ حياته بعض المخالفة على الأقل. ومن الغريب ان خصمه اسكندر الأول قيصر الروسيا طلع هو أيضاً على الدول بفكرة حلف عام أسماه الحلف المقدس يتعهد فيه المتحالفون أن يعاملوا رعاياهم حسب مبادىء المسيحية . وقد رأت بعض الدول في هذا رغبة من الروسيا في إخراج تركيا المسلمة ونيل مآربها الاستعمارية منها . وعلى أي حال فإن دول هذا الحلف كانت مشغولة بمكافحة نزعات الحرية والوطنية التي ظهرت بين الشعوب الأوربية التي كانت خاضعة لها . وتمَّ توحيد المانيا وايطاليا وظهرت دول كانت شعوبها مغمورة، ولاح ان العالم مسوقٌ إلى حرب عالمية كبيرة لاختلاف مطامع الدول ومصالحها، ففكر الساسة في التحكيم الدولي ، وتأسست محكمة لاهاي ، كما فكروا في الحد من التسليح.

ولكن كل هذا لم يفد لمنع الحرب وهكذا انقاد العالم إلى الحرب العالمية الأولى التي ظن إنها خاتمة الحروب، وتأسست عصبة الأمم بعد ان طلع الرئيس ولسن بشروطه، وتلقاه العالم كأنه رسول السلام، ولكنه أطمع الشعوب أكثر مما أشبعها ، فخاب أكثر مما نجح، وتخلى عنه نواب الشعب في أمريكا فتخلت أمريكا عن عصبة الامم ولم تفلح تلك العصبة في منع الحروب . وقيل إن سبب ذلك إنها لم يكن لها جيش دولي ويخيل لي أن الساسة يغالطون أنفسهم في هذا

الجيش الدولي إذ كيف يكون جيشاً دولياً يخلص آحاده لغير دولهم إذا كانت هي المعتدية أليس يكون منقسماً على نفسه .

* * *

ولقد دهمت الحرب العالمية الثانية العالم وهي تنذر بحروب أخرى . ولم نسمع ان الدول استطاعت تكوين جيش دولي حقيقي وانما هي أجزاء من جيوش الدول كل جزء مطيع لحكومته ودولته . ولا تزال الدول مختلفة في المبادىء والاطماع والنفس الانسانية كانت ولا تزال يقودها الطمع . وقد زعموا ان الخوف سيمنعها من حرب أخرى . ولكنا لانرى الخوف من القنبلة الذرية قد قلل أطماع النفوس ، ولا صرف الناس عن التسلح والاستعداد الحربي، ولا حل مشكلة اختلاف المبادىء ، فاذا ذلك الخوف لن يعصمهم من حرب او حروب أخرى . بل ربما كان الخوف من أسباب تلك الحرب كما يزعمون ، واذا لم يكن الخوف فالطمع والجشع واختلاف المبادىء . والنفس الانسانية تعرف انها تستطيع أن تعوض خسائرها مها عظمت . فلو هلك نصف سكان العالم لاستطاع النصف الباقي أن يعود الى ما كان عليه العالم من الازدحام بالناس . وقد كانت بعض بقاع العالم عامرة فخربتها الحروب الماضية ولا تزال خراباً، ولم يمنع ذلك الناس من معاودة الحروب، ولم تكن هذه الحروب العالمية الحديثة أول صنف من الحروب التي يهلك بسببها الملايين من الناس . على أنه لو حاول العالم أن يتعظ ويمنع الحرب لكان ذلك بحرب أخرى لارغام من لم يتعظ ، وكل حرب توطئة لحرب أخرى في المستقبل .

* * *

ولقد قال جان جاك روسو « منع الحرب لا يكون الاّ بحرب أشد من كل حرب » وعندي أن هذا هين اذا استطاعت تلك الحرب الشديدة ان تمنع كل حرب، فان الظاهر من عظات التاريخ ان كل حرب تبذر بذور حرب جديدة في المستقبل وتهيء أسبابها ولكن ليس من المستطاع أن يتجنب العالم الحرب ان لم يكن ذلك للرغبة في اعتداء جديد فبسبب اعتداء أو ظلم قديم . وهذه الحرب العالمية الثانية لم تغير طباع النفس الانسانية وما دامت المنافسة أساس الحياة والعمران بين الافراد والجماعات صعب التعاون الذي يمنع الحرب . ومن الصعب

وضع حد للمنافسة حتى لا تتعداه فتؤدي الى الحرب، وما عدا ذلك مغالطة في القول . ومما يدل على قلة ثقة أهل السياسة بمجلس الأمن العام وهيئة الدول المتحدة أنهم بدأوا يفكرون ويدعون الى وسائل أخرى لمنع الحرب، فبعضهم يدعو الى انشاء ولايات متحدة أوربية بين ممالكها ، والظاهر ان المستر تشرشل صاحب هذه الفكرة لا يعرف ان النجاح في انشائها ليس بأقرب الى التحقق مع اختلاف الأطماع والمبادىء . أو انه يعرف ولكنه يخفي ما يعرف لسبب ما . وبعض أهل السياسة يدرك الصعوبة فيدعو الى تحالف الدول الاربع الكبرى وتفاهمها ، وهذا لا يكون الاّ على حساب دول كثيرة صغيرة . مما يؤدي الى الحرب التي يراد تجنبها في المستقبل . ومما يزيد المعضلة الدولية تعقداً بدأ النزاع بين الشيوعية والرأسمالية. وفي الدول التي نظامها رأسمالي يراد إقناع الطبقات الفقيرة بترفيه اجتماعي نسبي سيكون حمله على الطبقات الدنيا الفقيرة من الطبقات الوسطى ، لأن أفرادها هم أكثر أفراد الأمة ولأنهم أقل نفوذاً من الطبقات العليا ، ولأن المتحصل من الضرائب عليهم وان كانت تصاعدية أكثر من المتحصل من غيرهم لكثرة عددهم ، وسيكون حمله أيضاً على الأمم الضعيفة ، ولاسيما الزراعية لأنها تستثمرها الأمم الصناعية القوية حتى في التجارة المشروعة وهذه الوسائل وهذا النزاع مما ينذر أيضاً بحرب في المستقبل .

* * *

لقد رأينا ان الانسان من قديم الزمن فكر في أن الناس كلهم أخوة وان الدنيا وطن العالم . ولقد رأينا أن الدول في كل عصر تحاول اكتساب الأنصار بالدعوة الى السلم والاخاء الانساني اذ خافت أن يمسها الضر، فاذا تحكمت نسيت دعوتها . وقد رأينا أن الأمل في هذا السلم الانساني الدائم كان مخدراً تهيئه الحياة للناس كي يستطيعوا أن يعيشوا حتى يصابوا بحرب مهلكة . فهو من سنن الحياة . وقد رأينا أن الساسة غير واثقين من وسائلهم الحديثة لمنع الحرب . وان أطماع النفس لم تتغير. وان خير ما في النفس قد يؤدي إلى الحرب كما يؤدي شر ما فيها . وان الانسانية تعودت أن تستعيض عما خسرته ، في كل حرب ، فألفت ذلك واطمأنت .

ع . ش

البصل

علاج للسرطان

البصل من أفضل النعم التي زخرت بها هذه الأرض التي سخرها الإنسان لمنافعه ومآربه وفيوض الطبيعة التى جادت عليه بما شاء من خيراتها ، وما بطنت من أسرارها . لقد عظمت منافع البصل وتعدّدت ، حتى لا تدري ما تحصي منها وما تدع . فإنه على كونه غذاءً للأبدان وافر التغذية ، مصلحاً للدّم ، منشطاً للدّورة الدموية ، فانه علاج متشعب المنافع ، يُستطبب به من كثير من العلل والأدواء ، فمن ذلك إنه مسكن للأعصاب الهائجة ، والمعتلة الواهنة ، مبرىء من السعال والزكام ، مذهب للأرق ، مدر للبن المرضع ، نافع لمرض البواسير إذا دُقّ وغلي في زيت الزيتون . وإذا قطر منه في العين الرمدة المزمنة ، أفادها فائدة عظيمة ؟ كما أنه إذا أذيب فيه الملح وقطر منه في الأذن السائلة ، قطع ما يسيل منها . ويفيد في القراع بعد تنظيف الرأس بالماء الساخن والصابون . ودقّه وغليه في زيت الزيتون يفيد في تشقق الثدي والخرّاجات .

وفي القصع والوثي والالتهابات عن رضوض ومصادمات . ما قرأته في بعض المجلاّت الطبية ، عن تجربة طبيب بنفسه ، إن عمل لبخة من البصل هي ذات فائدة عجيبة ، وذلك بدعكه جيداً وإضافة الملح إليه ، ثم يوضع على قطعة قماش أو قطن ، فيضمد بها الجزء المصاب وتغطى بخرقة من صوف ، وتربط ، وتترك هكذا بضع ساعات على العضو المصاب . وتعاد هذه اللبخة وتجدّد عدّة مرات حتى يتم الشفاء .

وجاء في تذكرة داود الطبية عن البصل ما يأتى : « والبصل الأبيض هو أجوده خصوصاً المستطيل ، وأردأه الأحمر ، لا سيما إذا استدار ، ولا يختص وجوده بزمن ، لكنه ربيعي في الأغلب ، وهو حار يابس ، يقطع الأخلاط اللزجة ، ويفتح السدد ، ويقوّي الشهوتين ، خصوصاً المطبوخ مع اللحم ، ويُذهب اليرقان ، ويدر البول والحيض ، ويفتت الحصى

وماؤه ينقي الدماغ سعوطاً ، ويقطع الدمعة ، والحكة ، والجرب والبرص ، والكلف . والثآليل مع الملح والبارود ، والعسل والسداب ، وعضة الكلب مع شعر الآدمي ، والسموم مع التين ، والوباء والطاعون وفساد الهواء والماء ، ويعيد الشهوة إذا انقطعت مع الخل ، ويحمل فينزف الدم ويفتح البواسير ، وإذا شُوي ودرس بشحم الخنزير أو السمن ، أو سنام الجمل ، ليَّن أورام المقعدة ، وأذهب الشقاق والباسور والزحير مجرّب ، واذا دُلك به البدن حسن اللون جدًّا وحمَّره وأذهب أوساخه ، وعصارته تنقي الأذن والسمع ، وأكله في الصيف يصدع ويضر المحرورين مطلقاً ، والإكثار منه مسبت ، مهيج للقيء ، يورث الرياح الغليظة ، ويصلحه غسله بالماء والملح ونقعه في الخل ، ويقطع رائحته الباقلاء ، والجوز المشوي والخبز المحرّق ، وكلما عتق كان أجود »

هذا ما ورد عن البصل في الطب القديم ، وأما الطب الحديث فأعجب ، إذ أمسى يعالج به السرطان ، ذلك الداء العياء الخبيث ، عدوّ ألد الخصام للانسان ، الذي ألب نطس الأطباء وقادة العلم جميع ذرائعهم ، وقصارى جهودهم مقاهرةٍ له واستئصالاً لشأفته ، وهم ما برحوا من أمره في حيرة ولا يزالون مختلفين : فبعض يقول أصله مكروبي ، ومتى عرف الميكروب ، عرف الدواء ، وبعض ينفي ذلك ، وعلى رأسهم الدكتور وولف الألماني ، ولا ندري إذا كانت هذه الحرب القاصمة قد أبقت عليه ، أم هو أمسى في الهالكين ، فانه يذهب إلى أن السرطان مرض لا يصيب إلاّ من جاوز الأربعين ، فلو كان مرضاً ميكروبيًّا لأصاب الناس في شتى أعمارهم .

قلنا حال الطب الحديث مع البصل أعجب . فقد اطلعنا على بحث طريف رائع في مجلة « كل شيء » العلمية الفرنسية ، للطبيب العلامة جورج لاكوفسكي في منافع مصل البصل والحقن به ضد كثير من الأمراض ، ولا سيما مرض السرطان ، وقد وردت عليه عدة كتب يطلب فيها أصحابها منه مقادير من هذا المصل ، فكتب رسالة أخرى في هذه المجلة يعتذر بعجزه عن تلبية هذه الطلبات ، لأنه لا يملك من هذا المصل إلاّ مقدار ما يحتاج إليه في معمله لتجاربه الطبية ، واختباراته العلمية الخاصّة . وقد ذكر أن أكل البصل نفسه يغني عن الحقن بمصله ، ويفيد ذات الفائدة . وإليك ما حققه في مقالته تلك ، ننقله بنصه لقراء المقتطف الأفاضل :

« إن مصل البصل أو لقاحه المستخدم في الحقن الجلدي ، ليس من السهل استحضاره ، ولكني أنصح قراء مجلتكم استبدال الحقن تحت الجلد ، في أكثر الحالات ، بحقن شرجية تعمل من عصير البصل المستخرج بالضغط ، أو بالسحق أو البَشر ، أو بأية وسيلة مما يكون في المطابخ . والذين يستطيعون هضم البصل النيء دون عسر ، فليأكلوه مع الخبز والزبد ، أو مع السلاطة أو مع فواتح الطعام ، مثل الجرجير والزيتون ، وما إليهما .

ولقد ذكرت أن طوال الأعمار يكثرون في البلدان التي يكثر فيها أكل البصل ، وإن مرض السرطان كاد أن يكون فيها معدوماً ، ولا سيما بلاد بلغاريا التي عدد الذين عمروا فيها ، فبلغوا أرذل العمر ، المائة والثلاثين ، أو جاوزوا ، جسيم بليغ . وقد كانوا يعزون ذلك إلى أكلهم اللبن الرائب (الزبادي) لقد وهموا وما أصابوا ، فان أهالي ققفاسيا ، وبعض جهات روسيا ، يأكلون هذا اللبن ، ولا تراهم مع هذا ، قد بلغوا هذه الأسنان . وإنما امتداد السن بأهالي بلغاريا مبعثه في رأيي ، ما يتغذون به من فج الأغذية (غير المطبوخة) خصوصاً ، كالخضر والفاكهة ، ولا سيما البصل النيء ، ما عدا اللحوم ، التي لا يتناولونها إلا يوم الأحد . وإني لمؤيد رأيي بهذا الكتاب الوارد عليّ من الأستاذ ستامانوف من جامعة صوفيا ، غب إذاعتي نتائج بحوثي الذي يقول لي فيه :

« دونك هذا الاحصاء الذي استخرجته من ادارة الصحة العمومية عندنا ، ويقر عيني علمي أنك على حق ، فان الفلاحين هنا ، وهم السواد الأعظم ، قد سلموا من هذه السرطان ، ووقوا غائلته ، إلا قليلاً . وما كان ذلك إلا لأننا نكثر من أكل البصل ، ما عدا أهالي رومانيا ، وربما أيضاً أهالي يوغوسلافيا . وما أعلم ان بلداً في الدنيا يفوقنا في أكل البصل ونحن نأكل البصل فجّاً مع الملح والفلفل والخبز . وطعامنا أيضاً الكثير من البهارات والثوم » .

هذا ، وإني منذ أن أذعت تجاربي ، جاءتني عدة خطابات ، يذكر فيها مرسلوها فعل البصل العجيب ، مؤيدين القول بالتجربة ، وقد كتب إليّ أحد أساتذة اشبيلية ، أن مشاهداته وتجاربه قد دلته على أن البصل يبرىء المصابين بالزهري متى تناولوا منه مقداراً كبيراً . وكتب إليّ أيضاً بمثل هذا مهندس مشهور .

لقد تكاثرت عليّ الكتب في ذلك ، على أن ما تضمنته من أقوال يحتاج الى تحقيق واثبات ، ولكنه كله جائز ومحتمل ، ذلك أن الكاتبين إليّ من كل فج ، هم من الجلة الفضلاء ، ولا مقصد سوء لهم ، ولا خبث دخيله » .

هذا ما حققه هذا الطبيب البحاثة في أعاجيب أفاعيل البصل . فما رأي أطبائنا الاجلاء في هذا ؟

احمد ابو الخضر منسي

مع فقيد العربية الاب الكرملي

جزيرة الرجال

وجزيرة النساء

في يوم اشتدَّ حرُّه من أيام شهر آب (أغسطس) سنة ١٩٣٢ غصَّت قاعة المحاضرات في كلية ترا سانطه بالقدس ، بما لا يقل عن ثلاثمئة مستمع من سيدات ورجال ، جاءوا لاستماع محاضرة عنوانها « جزيرة الرجال وجزيرة النساء » يلقيها فقيد العربية المرحوم العلاّمة الآب انستاس ماري الكرملي . ولما أزفت الساعة المعينة بدأ المحاضرة بقوله :

« قرأت منذ ثلاثين سنة في كتاب نخبة الدهر لشيخ الربوة الدمشقي أن هناك جزيرتين لا يقطن إحداها إلاَّ الرجال ولا يسكن الأخرى إلاَّ النساء . . . وأنا أعتبر شيخ الربوة من أدق الجغرافيين الإسلاميين . ولم يؤثر عنه أنه مزج الحقيقة بالخيال ، أو خلط الوهم بالصحيح . ولا بدَّ وأن يكون لهذا النبأ أساس كبير من الصحة . وقد شغلت هذه القضية أفكاري . — واتصلت بأهل العلم من شرقيين ومستشرقين . في خلال هذه الثلاثين من السنين فبعضهم جعلها في بحر الظلمات ، وآخرون ذهبوا بهما الى بلاد الدنمارك ، وغيرهم وضعوها في الأوقيانوس الهندي ... إلى غير ذلك من الأمكنة والبقاع . ولكني لم أرتح لرأي أي واحد منهم . لأنَّ الشروط التي يجب أن تتوفر في تعيين هاتين الجزيرتين لم تتوفر في رأي أي واحد من هؤلاء العلماء الأجلاء . وأهمها :

١ — أن تكون الجزيرتان متقابلتين :

٢ — وبجوار بحر الأرخبيل :

٣ — قريبتين من بلاد الصقالبة :

٤ — وتقابلهما كبدوكية التي سكنها أمارينوس . . . » ثم أخذ رحمه الله يذكر وصف المعيشة في تينك الجزيرتين ، وكيف أنه كان يسمح في فصل الربيع بالتقاء الرجال والنساء في

خروجهم للصيد في عرض البحر ، وهناك يتلاقحون . وشرح كيف كان يتم التلاقح ، بحيث أن بعض السيدات الحاضرات أخذنَ يتبادلنَ الابتسامات التي تدل على الخجل . وبعد ساعة من بدء المحاضرة أخذ العرَق يتصبب من أجسام المستمعين ، فنام بعضهم وخرج معظم السيدات الى فناء الكلية . وبعد مرور الساعة الثانية لم يبق في القاعة أكثر من ربع المستمعين ، فشعر المحاضر الكريم بالموقف وأنهى المحاضرة بلباقة . وطلب أن يكون البحث في المحاضرة في المقصورة ، حيث يتناول الشاي . ولما نهض تبعه كل من كان يهمه الموضوع . وغصت المقصورة بهم . ولم يبق لي مكان أجلس فيه . ولئن لم يساعدني ظرف المكان على الاشتراك في البحث ، فقد ساعدني القلم . فكتبت إليه هذا الكتاب (١)

سيدي العلاَّمة قدس الأب الكرملي الأجل :

السلام عليكم :

وبعد فقد أسعدني الحظ بأن أكون من مستمعي محاضرتكم الممتعة التي تفضلتم بإلقائها في نادي ترَّا سانطه الزاهر بالقدس ، عن جزيرة الرجال وجزيرة النساء . ويعلم الله أنني توَّاقاً إلى مشاهدتكم والاستماع إليكم بعد أن قرأت لكم كثيراً فكنت ألتهم كل ما تقولون إلتهام الجياع كل ما في القصاع . ولقد أكبرت فيكم هذه الاناة والصبر على البحث والجلد المتواصل على معاناة الدرس الجاف ، حتى يخرج البحث من قلمك سائغاً للقارئين ، وسهلاً على السامعين . ولكن هذا لا يمنعني من إبداء رأي بسيط في الموضوع ، بعد تأكدي من أن صدرك الرحب سيتسع لما أقول . وأن آذانكم ستسمع ما أعرض عليها ، وقد سمعت ووعيت الشيء الكثير من الآراء التي تعرض عليها ، ولو كانت جافة وفجَّة .

إرتحت إلى جعل جبل آثوس — الذي في بلاد اليونان ، ويقرب من شبه الجزيرة في شكله ووضعه — إرتحت إلى جعله جزيرة الرجال . ولكن يا سيدي الفاضل أستبعد كل محاولة لإيجاد جزيرة النساء ، سواء في بحر الظلمات أو في بلاد الدنمارك أو في الأوقيانوس الهندي . كل هذه المحاولات كانت مستهجنة عندي . وعلى الأخص ما دار منها حول جعل

---

(١) المدرسة الاميرية : بيت لحم في ١٥ — ٨ — ١٩٣٢

الجزيرتين «كوريا» و«موريا» جزيرتي الرجال والنساء، وقلب أو ابدال أو مسخ السقاطرة سكان جزيرة سقطرا المجاورة للجزيرتين — إلى صقاطرة، ثم الى صقالبة. هذا شيء بعيد الاحتمال: وعندي رأي أتجاسر لأن أعرضه عليكم وهو:

في أوائل القرن الرابع عشر قبل الميلاد اشتبك المهاجرون الاخائيون والدوريون — أجداد اليونان — في أثناء رحيلهم من الشمال الى الجنوب، بأمم تسكن بلاد كبدوكية. وكان كل المحاربين من النساء. وقد أطلقوا على هذه النسوة المحاربات اسم «الأمازونات». وبعد ازدهار الفن الأغريقي خلد اليونان أمجاد أسلافهم القدماء، فرسموا صور هذه المعارك مع الأمازونات على آنيتهم الفخارية الجميلة، وحفروا هذه المشاهد على نواويسهم الرخامية والحجرية بغاية من الدقة والمهارة. وفي متحف القدس صورة هذا المشهد محفورة على ناووس رخامي وجد في سواحل هذه البلاد.

ولكن ما عسى أن تكون هذه النساء المحاربات، وإلى أي قوم ينتسبنَ؟

يجيبنا على ذلك الأستاذ «ميرز» المؤرخ الانكليزي، فيقول: إن نتيجة أبحاثه الأثرية تثبت لديه أن الخيتاس (الحثيين) هم سكان كبدوكية القدماء وقد كان من عادتهم حلق اللحى والشوارب. فرآهم اليونان القدماء في حروبهم معهم كأنهم نساء. ثم زالت هذه العادة بعد احتكاك الخيتاس بالمهاجرين. ولما بعد العهد بين المظهرين ـ الحلق والاطلاق ـ ونسي الاحفاد ما شاهد الأجداد، من أربعة قرون، خلد هوميروس مفاخر اليونان القدماء في إلياذته. ومن جملة ما ذكر حروبهم مع النساء الأمازونات. ونقل الخبر عنه هيرودتس. وعن هيرودتس أخذ بطلميوس. وما أكثر ما أخذ العرب في الجغرافية عن بطلميوس.

أستنتج من كل ما سبق أن جزيرة النساء التي وردت في كتاب شيخ الربوة، وغيره من كتب الجغرافيين الاسلاميين، هي شبه جزيرة آسيا الصغرى — أو قسم منها — التي كانت تعرف بكبدوكية — وهي قريبة من بلاد الصقالبة — السلاف — وكان يسكنها الخيتاس، أو الأمازونات التي حرِّفت الى إمارينوس. وهي قريبة من بحر الأرخبيل، ومقابلة لجزيرة الرجال — جبل آتوس — ولا يضيرنا أن يكون المكانان شبهي جزيرة،

فان العرب قالوا : جزيرة العرب ، وجزيرة الاندلس ، في حين أن كلاً منهما شبه جزيرة .

ومن هذا يتضح أن هذا الافتراض يزيل من الطريق كثيراً من العقبات التي اعترضت السبل في البحث .

هذا ما خطر لي أن أكتبه إليكم الآن على عجل ، آملاً أن يصلكم وأنتم في فلسطين ، عسى أن يكون فيه شيء يرتاح اليه الضمير ويقبله البحث . أيدكم الله بعزم من عنده لتبقوا ذخراً للعرب والعربية والسلام عليكم.

ثم تلقيت منه هذا الجواب الذي أحتفظ به الى الآن :

حيفا في ١٧ / ٨ / ٣٢

كنت على جناح ركوب السيارة . وإذا راهب من كلية الفرنسيين سلمني كتابكم فلم أستطع الاجابة عنه ، لذهابي الى الناصرة ومنها الى هنا .

لا يخلو تأويلكم من بعض الصحة . ولا جرم أننا اذا استطعنا أن نؤول الجزيرتين بما هو أقرب الى مألوف ما نفهمه من معنى الجزيرة ، ومن معنى الرجال والنساء ، من غير أن نتطلب التخريجات والتأويلات نكون أقرب الى الصحة . وعلى كل حال اني إذا عدت الى هذا البحث أذكر رأيكم وأنسبه اليكم . ولكن يبقى ذلك تأويلاً للأمازونات ، لا تأويل جزيرة الرجال وجزيرة النساء . وتأويل الأمازونات راجع الى عالم واحد — لا الى جماعة من العلماء . وأنا أقر بفضلكم العميم . وأشكركم على ما أفضتم به من رأي وحفظكم الله

الأب انستاس ماري الكرملي

ومن ذلك التاريخ أخذت اهتم بهذا الموضوع لأسباب كثيرة منها محاولة اثبات اجتهادي ، وتلبية لطلب المحاضر الكريم الذي رجا فيه من كل مستمع أن يواصله بما يجد له في هذا البحث ، ومن أهمها أن شمس الدين شيخ حطين أو شيخ الربوة الدمشقي قضى شطراً كبيراً من عمره في صفد وفيها كتب كثيراً من كتبه ، وفيها توفي ودفن في بيمارستانها سنة ٧٢٥ ﻫ كما يذكر معاصره صلاح الدين الصفدي في مخطوطته الثمينة «الشعور في العور» وكنت أهم بارسال هذه المعلومات لقدس الأب الكريم ، حتى فوجئت بنعيه . فأحببت نشر البحث بكامله ، لعلّ فيه بعض الفائدة.

في الحرب الكونية الثانية جاءت الجيوش ، يرافقها الصحفيون والعلماء ، خلال ديار مهجورة ، وكتبوا عنها الشيء الكثير . فقد كتب صحافي أميركي ما يأتي عن جبل آثوس :

يقع جبل آثوس في الشمال الشرقي من بلاد اليونان وقد مدَّ رأسه في بحر الأرخبيل ، وعلا عنه ثلاثة آلاف قدم .

وكان الاغريق يقولون أنه مسكن آلهتهم القديمة . ومنذ القرن التاسع الميلادي بدأت الأديرة النصرانية تحتل محل الهياكل اليونانية الوثنية . وقد وصل عددها في القرن الثالث عشر مئتي دير . أما الآن فعددها لا يتجاوز العشرين ديراً . وكل دير منها قائم على بعد غير قليل من الآخر . ومن هذه الأديرة ما بني على حافة هاوية رهيبة ، يرى الواقف من فوقها البحر هادئاً تحته . وهذه الأديرة زاخرة بأقدم الكتب المزينة بأجمل النقوش والحافلة بأثمن التحف وكلها من تراث البوزنطيين ويمتاز دير « سيموبيترا » الروسي بتحفه الرائعة من العهد القيصري .

يسكن هذه الأديرة ستة آلاف راهب . ولهم امتيازات من العهد العثماني . ولما انفصل اليونان عن العثمانيين في أوائل القرن التاسع عشر حاولت حكومتهم الجديدة العبث بهذه الامتيازات . فلم تستطع .

أقمت في سلانيك ثلاثة أيام حتى حصلت على الاذن بدخول منطقة جبل آثوس سافرت في باخرة — اعتادت السفر إلى تلك المنطقة مرة في الأسبوع . وأول ما قابلني حرس الرهبان الذين مهمتهم أن يراقبوا الحدود خوفاً من دخول الذئاب أو النساء . ومنذ اتخذت هذه المنطقة مقرًّا للرهبان لم تطأها قدم امرأة ، سوى اليزابث ملكة رومانيا ، التي سمح لها أن تزورها وتقيم فيها خمس عشرة دقيقة . ولا يمكن بصورة من الصور أن تستطيع امرأة ، مهما تخفت الدخول إلى ذلك المكان — فالرقابة شديدة والتفتيش دقيق . وقد حاولت صحفيات كثيرات ذلك . فأخفقن . ولا يمنع النساء وحدهن دخول هذا الجبل ، بل حظر ذلك على أناث الحيوان والطير كذلك ، فلا تقبل فيه الناقة ولا الفرس ولا البقرة وحتى أن بعض الأديرة تمانع في دخول الدجاجة . ويقدم للضيف « الواكير » والقهوة التركية وعصير البرتقال . وعند غروب الشمس تقفل أبواب الأديرة ، ويتفرغ الرهبان لقيام الليل . وهم يصلون قبيل عيد الفصح صلاة تستغرق اثنتي عشرة ساعة .

وكتبت مجلة لسنر Listner عن جزيرة النساء :

في سنة ١٩٤٤ . نزلت القوات البريطانية في جزيرة لامينوس ، من جزر الدوديكانيز الواقعة عند مدخل الدردنيل ، وهذه الجزيرة غريبة في تاريخها ، وقد عرفت في التاريخ باسم جزيرة النساء . وتقول إحدى خرافات اليونان أن نساء هذه الجزيرة تآمرن على أزواجهن وقررن التخلص منهم . فذبحن جميع الرجال في الجزيرة ، بحيث لم يبق غير النساء

محمود العابدي

باب المراسلة والمناظرة

تنبيهان

اطلعت في مقتطف فبراير سنة ١٩٤٧ على قصيدتين رائعتين إحداهما بعنوان (برلمان الطبيعة) والأخرى بعنوان (تلمس في الظلام) وهي مهداة الى روح أبي العلاء المعري .

اما القصيدة الأولى فكلها ابتكار ولكن جاء فيها البيت الأول أو مستهلها عسر القراءة الصحيحة المستقيمة الجرس ، إذ أن الشاعر على ما يظهر اراد ان يعدم همزة الوصل من النطق فلم يفلح وإن افلح فإنه استعاض عنها بحرف ساكن كسره، وكان الأحرى ان يبقيها وهي مكسورة بطبيعة الحال في مصادر الأفعال الخماسية والسداسية . فيكون بيته الأول باثبات همزة الوصل على هذا الوضع .

لقد رشحت يا أفق السحابا   وقد أجرت رياحكِ إنتخابا

والقصيدة ـ لا شك في انها ـ من الوافر وإذا اراد الشاعر ان لا يثبت همزة الوصل يمكن ان ينظم البيت على الصورة التالية :

لقد رشحت يا افق السحابا   وقد أجرت لها الريحُ انتخابا

ولكن ليس من الضروري ان يضعها في القالب الثاني لأن إثبات الهمزة اي همزة الوصل جائز ضرورة ووارد في اشعار الأقدمين وهذه امثلة على ذلك . قال ابو العتاهية .

ايها الباني لهدم الليالي   إبن ما شئت ستلقى خرابا

وقال قيس ابن الخطيم

إذا جاوز الإثنين سرٌّ فانه   بنشرٍ وإفشاء الحديث قمينُ

اما القصيدة الثانية فجاء فيها البيت الآتي مضطرباً وغير موزون وعلى الأغاب ان هذا الخطأ الذي فيه ناتج عن الطبع لأنه توجد بعضَ الآثار للتصحيف تنم عن ذلك وها أنا نورده بنصه:

« غير أن الزهور تفنى ولكن   مودعات البذور سرّ من السرّ المعاد»

البيت كقصيدته من البحر الخفيف ولكي يستقيم وزنه يجب أن تحذف منه هاتان الكلمتان (من السر) فيكون بصورته الصحيحة .

غير أن الزهور تفنى ولكن   مودعات البذور سرٌّ المعادِ

هذه بعض الآراء التي عنت لي وأنا أقرأ القصيدتين العصماوين اللتين لا يضيرهما ان وقعت فيهما بعض الهنات الخفيفة إذ أن الكمال خصَّ بالباري وحده .

البصرة — العراق   رشيد السعد

باب الأخبار العلمية

الديكتافون

جاسوس علمي مأمون ، تنفيض الغبار بالكهرباء ، الجهاز الحلاق

جاء في إحدى الصحف الأسبوعية بتاريخ ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٤٦ .

« هذا نبأ لا شك أنه يدعو الى اهتمام العدد العظيم في مصر ، من الموظفين والكتبة وعلى الأخص كبار رجال الأعمال . وقد أذاعته أمس إحدى الشركات الأمريكية لعمل الأثاث وذلك تحت عنوان (مكتب الغد) وصفت فيه « مكتب المستقبل » الذي أتمت وضع تصميمه وشرعت في إخراجه . وهو مكتب عصري بأقصى معنى الكلمة . ففيه ثلاَّجة و« بار » وخزانة غير قابلة للحريق ، وراديو وتليفون داخلي بين المكاتب وتليفون خارجي ، وولاعة تخرج من جانب المكتب ، وفي قمتها شعلة من النار ، تشتعل متى ضغطت على زر صغير ثم تعود ثانياً وتختفي من حيث أتت . وقد استعاضت الشركة في تصميمها ، من الرفوف العالية التي كانت تستخدم في المكاتب القديمة ، لجمع الاوراق ، بأجهزة لطيفة جميلة أقل ارتفاعاً من الرفوف ، تشع ضوءًا على المكتب بحيث لا يؤذي نظر الجالس إليه . وقد وضع في أحد جوانبه ، جهاز التليفون الخارجي وفي جانب آخر ، جهاز (الديكتافون) وهو جهاز خاص يسجل فيه صاحب العمل تعليماته أو خطاباته على قرص كأسطوانة الفونوغراف فيأتي السكرتير فيما بعد ويصغى الى الاسطوانة وينفذ مافيها . وفي هذا المكتب ساعتان إحداهما في مواجهة صاحب العمل والاخرى في مواجهة الزائر .

ويستطيع الأول أن يقدم ساعة الزائر على قدر ما يرى ليتخلص من زائره . ولم يفت الشركة تزويد هذا المكتب بجهاز للحلاقة يستخدمه صاحب العمل في آخر النهار ، إذا كان يعتزم قضاء السهرة في حفلة عامة . أما دهان المكتب فمن النوع الذي لا يتأثر من أعقاب السجائر ، على أنه ينقص هذا المكتب جهاز أوتوماتيكي لتنفيضه من الغبار » تمَّ بحروفه .

قرأت هذا الخبر فاسترعى نظري فيه ثلاثة أجهزة هي (أولاً) الديكتافون (ثانياً) جهاز تنظيف الغبار (ثالثاً) جهاز الحلاقة ،

فتوخيت وصفها فيما يلي ليقف قراءنا على مزاياها الطريفة : —

ظهر الديكتافون أو الديكتوغراف أو الديتكتافون في إنكلترا في أوائل سنة ١٩١٢ ومن بواعث غبطتي أني كنت سنتئذٍ أول من وصفه وذلك في مجلة المحيط

وهو جهاز تصح تسميته بالجاسوس الآلي، إذ هو يقاوم المجرمين ، أفظع مقاومة أيًّا كانت صفاتهم . ولا غرو فانه خير جسَّاس لتسقط أخبار السجناء في حجرهم الانفرادية وفضّاح للمؤامرات التي تحاك شباكها في غرف الفنادق ، وحجر دوائر الأعمال . إذ يجأر تجاه أربابه ومستعمليه ، بما يدور همساً على ألسنة الخبثاء في غياهب معتقلاتهم . وحسبك أنك إذا أخفيته تحت أريكة أو كرسي أو خلف مكتبك أو وراءَ نافذة من نوافذ مسكنك أو متجرك ، استطاعت تلك الأذن الميكانيكية الدقيقة الأنصات لما يفوه به المجرمون والأشرار في خلواتهم ، واظهار ما تجيش به أفئدتهم ثم ايقاع الذعر في نفوسهم عند افتضاح أسرارهم . فلا فائدة إذن في اغلاق الأبواب ، وخفت الأصوات ما دام الديكتافون مخفيًّا . إما في أثاث الحجرة وإما في أحد حيطانها ، حيث يمكنه التقاط أضعف الأصوات واعادتها عند الحاجة على من يطمحون إلى سماعها بعيداً عن مصادرها

ومما ينبغي ذكره في هذا الصدد أنه كان في بلاد الأمريكان ، مخبر سري يشار إليه بالبنان هو و. ج. برنز W. G. Burns بلغ من عبقريته في اقتفاء آثار الأشرار والتنكيل بهم أن حسبه بنو وطنه « سحّار الفجّار » وذلك قبل أن يعرفوا أنه يستخدم الديكتوغراف ، ثم إن براعته بصفة كونه مخبراً سريًّا لم تَهِنْ عندما تبيَّن أنه هو نفسه كان من أوائل الناس الذين شاهدوا خطر شأن الأعمال التي يضطلع بها هذا الجهاز في المباحث السرية ، فضلاً عن كونه قد استخدمه استخداماً ناجحاً حتى بعد تكشف سرّ هذه الآلة للمجرمين ، ثم عقب معرفتهم إياها . وبلغ من شغف برنز بالديكتوغراف أنه يحمله دائماً في جيوب ثيابه . وقد يغفل حمل غدارته أو يهمل حمل الأغلال ، خلافاً لأترابه ، من أقطاب المخبرين السريين ، ولكنه لا ينسى أبداً صديقه الديكتوغراف لأنه يعدُّه أقوى آلة عصرية ترغم الآثم على الاعتراف باثمه . وإذا وُصّل الديكتوغراف بآلة التليفون المنزلي ، استطاع به رب البيت أو ربته أن تسمع خلسة كل كلمة يفوه بها أي إنسان يلوذ بها ، خادماً كان أو زائراً أو قريباً لها ، وإن كان بعيداً عنها . وبلغ من صغر حجم الديكتوغراف أنه يسهل تركيبه في جوف جهاز التليفون المألوف بحيث لا يفطن له امرؤ . فهو جهاز يشبه ناقلاً صوتيًّا ، أو بوقاً كهربيًّا حساساً جدًّا مؤلفاً من قطب كهربي ذي عشر بطاريات تحتوي على كريات من الفحم بدلاً من رقعة

الصفيح التي توضع تجاه قطب كهربي صلب من الفحم ، كما هي الحال في بوق التليفون . ومن طبيعة هاتيك الكريات الفحمية عدم الاستقرار في مكانها ، بل التجوال تجوالاً من شأنه صيرورة البوق الديكتوغرافي نشيطاً على الدوام ، حساساً الى أقصى حد .

فاذا ما وقعت محادثة أو أي صوت في حجرة يوجد فيها تليفون ركب فيه بوق ديكتوغراف أتيح لطالبها سماعها جليًّا في الطرف الآخر من الخط . وبلغ من حساسة هاتيك الأبواق أن المستمع لها في نهاية الخط لا يجب أن يكون قريباً من السماعة لكي يسمع كل ما يدور في مصدر الحديث.

وبما أن الديكتافون يحل محل البوق التليفوني ، فلا يدري به أحد على الاطلاق فيقوم التليفون مقام بوقه حينما توضع السماعة في موضعها . ومن ثمة يتاح تضليل كل من يُقصد كشف سره به .

فان كنت مثلاً صاحب دائرة أشغال تجارية مؤلفة من مكاتب شتى ، أمكنك عن طريق هذا الجهاز ، الوقوف على كل ما يدور من المحادثات في كل مكتب منها على حدته بينما تكون جالساً عند مكتبك . وما عليك لتحصل على أمنيتك إلاّ أن تضغط زرًّا صغيراً فيتصل تليفونك بتليفون المكتب المراد استقصاء أخباره ، فتنصت لكل ما يحدث فيه من المحادثات العقيمة . فاذا كان المستخدمون مثلاً يتسامرون بعضهم مع بعض ، مهملين واجباتهم ، أدركت تقصيرهم على الفور . وهذا من حقك الشرعي ما دمت مخولاً قانوناً أن تجوس خلال مكاتب أشغالك من حين الى آخر لتتفقد أحوال عمالك ومرؤوسيك .

وهذا بلا جدال من أنفع منافع الديكتافون . واشد ما يدهش كثيرون من المستخدمين ، عند ما يدركون أن صاحب العمل أو مديره يلم بما يتفوهون به في غيبته ، وأنه متيقظ لكل ما يبدر منهم من التلكؤ في نوبات أعمالهم فيسجلها ضدهم . ولذلك عنيت شركات كثيرة للمصانع الانكليزية والأمريكية وغيرها من دوائر الأعمال الاوربية والأمريكية وغيرها بتجهيز مكاتبها به بغية تجسس أحوال صناعها ومستخدميها في حينها (ولكنها لا تعترف بهذه الحقيقة لأن إعلانها ليس في مصلحتها طبعاً) .

أما التذرُّع بهذا الجهاز لإثبات الجرائم على مقترفيها أو للتجسس على المستخدمين ، فعلى الرغم من خطر شأنه ، فهو أمر محدود جدًّا بلا ريب . غير أن نفعه في الأعمال التجارية أعظم مما تقدم وصفه وبالديكتوغراف أصبح في وسع صاحب الأعمال ، الإتصال بكل دائرة من دوائره التجارية دون مغادرة مكتبه . فاذا شاء مثلاً محادثة مستخدم في الطبقة الرابعة من المتجر مثلاً ، أتيح له ذلك الأمر دون إنزال سماعة التليفون عن

مكانها ، ولا نداء عاملة التليفون لكي توصله بمن يريد مخاطبته ، وقد يكون هذا الشخص متغيباً عن مكتبه أو يكون في الجانب الآخر من غرفته . بل كل ما يجب عليه وقتئذٍ أن يضغط زرًّا فيدق جرس التليفون في الغرفة المفروض وجود المرء المطلوب محادثته فيها . ثم يواصل المزمع المحادثة أعماله المألوفة أيًّا كانت ريثما يرد عليه الشخص المقصود ، فيتمكن صاحب الأعمال (وهو جالس على مقعده الوثير، وقد يكون المخدوم مشغولاً بالكتابة) من إصدار تعليماته الى ذلك المستخدم . وحينئذٍ لا يضطر المتكلم الى وضع شفتيه على بوق التليفون لأن المستخدم يستطيع من الجهة الاخرى الرد على التليفون، ولو كان بعيداً عن مكتبه (مائدة الكتابة) وذلك لأن المستخدم إذا تكلم بصوته العادي صار صوته مسموعاً ، وإن صدر من أي جزء من أجزاء الحجرة فلا يضيع عبثاً أي وقت من كليهما. وباستخدام الديكتافون موضوعاً على المكتب ، يمكن الاستغناء به عن خزانة التليفون وهي التي يلجأ إليها المتكلم لكيلا يسمع الآخرون حديثه التليفوني ، وذلك لأن بوق الديكتافون حسّاس جدًّا فيجعل أخفت الأصوات مسموعاً ولو كان همساً . هذا اذا كان المتكلم يبغي ألاَّ ينكشف سره لغير مخاطبه ، وحسبه أن يقرّب شفتيه من البوق ثم يتكلم بصوت منخفض جدًّا فلا يسمعه الجالسون بجوار مكتبه .

كيف تسجل الأحاديث الخاصة بالأشغال التجارية

ومما لا شك فيه أنه يكاد يستحيل على أي واحد من أرباب الأعمال التجارية ، املاءُ كاتبٍ من كتبتهم ، أي خطاب يتعلق بأشغالهم في حضرة زائريهم ، دون وقوفهم على فحواه ، في أثناء الاملاء ، بيد أن هذا ميسور بمعاونة الديكتافون إذ يستطيع المرءُ أن يملي مُهامَسةً كاتب الاختزال ، ما يريده ولو كان هذا المختزل في حجرة مجاورة له . ويتسنى أيضاً الحاق الديكتافون بجهاز الفونوغراف ، بغية تسجيل حديث المتكلم ، إذا شاء ذلك . ويكفي حينئذٍ أن يضغط المتحدث زرًّا كهربيًّا فيقوم الجهاز بما ينشده الطالب . وإذا كنت تناقش تاجراً من أصدقائك في أمر ذي بال ، ويهمك تدوين ما يدور بينكما من المفاوضات ، قام الديكتافون بذلك العمل على خير ما يرام . وفي مثل هذه الحالة يمكن الاستغناءُ عن المختزل الذي يكلف العمل في آخر الخط . وحينئذٍ تسجل المحادثات جميعها على اسطوانة الفونوغراف . وعنها يستطاع نقل الحديث برمته فيكتب بالآلة الكاتبة . وبلغ من دقة جرم الديكتافون أنه حيثما يوضع لا يتجلى أمره لمخلوق ، فيمكن تركيبه في مستشفيات الامراض العقلية فيلتقط كل ما يصدر من أقوال المجانين آناء الليل وأطراف النهار ،

فتعرض على أطبائهم ليقفوا على تفصيلاتها لأن للمخبولين حالات شتى يتعذر على الأطباء دراستها بالرقابة الشخصية فيتسنى لهم الوقوف على كنهها بمساعدة الديكتافون . لأن أولئك المرضى يسلكون في عزلتهم سلوكاً مخالفاً لما يبدو منهم في حضرة مراقبيهم . وقد رُكِّبت أجهزة الديكتافون في طائفة من الفنادق الكبرى في انكلترا وأمريكا وغيرهما فاستدل بها مديروها على الأشرار الذين يلجؤون إليها ، فأرغموا على اخراجهم منها غير آسفين . بل إنها أصبحت واسطة لاثبات التهم على المجرمين الذين يكمنون فيها ، وتسهيل ارشاد حفظة الأمن العام اليهم ، ليقبضوا عليهم . وقصارى القول إن للديكتافون محاسن ومساوىء لا تحصى .

والديكتوغراف الذي يستعمله المخبرون السريون ، هو تليفون داخلي مكيَّف ، لتلك الغاية ، الغرض منه التجسس . ويبلغ ثقله نصف رطل ويمكن حمله في جيب المعطف . وعندما يوضع في علبة من الجلد الأسود يخيل لناظره أنه آلة تصوير صغيرة مما يحمل في الجيب ، وفيه جامع للصوت أو بوق ، وقرص يتلقى الصوت ، وبطاريتان جافتان صغيرتان ، وسلكان مغطيان بالحرير الاسود. وذلك البوق قرص من الكاوتشوك الصلب الأسود ، يزن بضع أواقٍ . ويبلغ عرضه زهاء ثلاث عقد أصابع « بوصات » وثخنه عقدة واحدة . وله عين معدنية يمكن تعليقه بها على مسمار خلف أحد المكاتب أو وراء إحدى الصور . ثم إن الأسلاك تدخل في الطرف الأسفل للقرص حيث يوصل آخرها بقرص الاستقبال الذي يثبته المتصنت بأذنه. ويستمد الجهاز ، التيار الكهربي اللازم له ، من البطاريتين الجافتين . ولا يصلح الديكتوغراف لمسامرة شخصين بعضهما مع بعض ، خلافاً للتليفون الداخلي . وذلك لأن المخبر السري أو المختزل الذي في آخر الخط لا يهمه الرد على محادثه . فنهيب إذن بولاة أمورنا أن يتصلوا بسفيرنا في واشنطون ليبتاع للحكومة طائفة من أجهزة الديكتوغراف بغية الانتفاع بها في المعتقلات المصرية للمعاونة على خدمة العدالة واحقاق الحق وازهاق الباطل إن الباطل كان زهوقاً.

تنفيض الغبار بالكهرباء

اخترع الدكتور سويني العالم الامريكي أستاذ الهندسة الكيميائية في كلية آيوى الحكومية ، ورئيس ذلك القسم من أقسامها العلمية اختراعاً سوف يكون من بواعث ارتياح ربات البيوت جميعهنَّ ، إذ يكفيهنَّ مؤونة نفض الغبار عن أثاثاتهنّ المنزلية . وذلك عن طريق قيام الطاقة الكهربية بهذه الخدمة . ومذهبه في هذا الاختراع أن العثير ونُسُج العناكب ، تتراكم على المفروشات . ولا مندوحة عن إزالتها . ولما كان العثير خاصاً بشحنات كهربية سلبية ، تقابلها شحنات

كهربية إيجابية في الأثاثات ، فقد دلت المباحث العلمية على امكان صنع كراسي من العجائن الكيميائية ذات شحنات كهربية سلبية ضئيلة أيضاً ، فلا يستطيع الغبار الاستقرار عليها لأنها تطارده فلا يبقى إذن موجب لتنفيضها . وهذا يطابق القاعدة العلمية المعروفة وهي إن الشحنات الكهربية التي تكون من نوع واحد ، يتنافر بعضها مع بعض . ومن الغريب أن هذه الكراسي كان اختراعها نتيجة لظاهرة طبيعية تجلت لمخترعها في سطوحها على غير قصد ، أي إنها لم تكن متولدة من إدخال شحنة كهربية فيها عمداً . وهكذا الحال إذا أردنا ترسيب الغبار في المصانع المعدنية ، فيجب شحنه بنوع واحد من الكهرباء ثم نشحن سطحاً معدنيًّا أيًّا كان بهذا النوع نفسه من الكهرباء فينهال الغبار بعيداً عنه حيث يتاح جمعه في الدلاء فياله من اختراع رائع .

جهاز الحلاقة

اخترع في شيكاغو جهاز حلاّق يركب في الأماكن العامة ، ذو ثغر ، فيلقي فيه السائح أو مرتاد السينما ، الأجر فيدفع إليه توًّا ، موسىً كهربائية ، فيحلق بها الطالب لحيته وذقنه ، وذلك تجاه مرآة مثبتة في الجهاز ، تضاء يَمْنَةً ويَسْرَةً . وعندما يتمم العميل حلاقته ، يلقي الموسى في وعاء التطهير المركب في الجهاز نفسه . حيث يقوم مصباح مبيد للجراثيم بتطهيرها بأشعته القتالة لها . وهذه الموسى متصلة بحبل كهربائي فاذا ما سوّلت لامرىء نفسه سرقتها ، فعمد إلى قطعها من حبلها قُرِعَ جرس كهربائي ، في الجهاز فيفتضح أمر السارق فيقبض عليه الشرطة توًّا . وقد شاهدنا جهازاً كهربيًّا حلاقاً بسيطاً وذلك في صالون حلاقة ابتاعه صاحبه من جندي ، منذ سنتين . ثم علمنا حديثاً أن هذه الآلات تباع بالقاهرة بسعر الواحدة خمسة جنيهات.

أقراص البنيسيلين ومنافعها

قالت الجريدة الطبية البريطانية إن البنيسيلين أصبح مستعملاً أقراصاً كالأقراص الدوائية الصغيرة المحلاة بالسكر التي يمتصها الناس ، ابتغاء شفاء السعال . وذلك لعلاج أمراض الحلق والفم . وقد نجحت هذه الأقراص في بعض الاصابات كازالة الألم والحمى وابادة الجراثيم في ٢٤ ساعة . أما في حالات الالتهابات الحادة للوزتين ، التي تكون مصحوبة بالجراثيم السبحية الشكل « التي على شكل المسبحة » فقد أفضت الى تخفيف المرض تخفيفاً عظيماً في ٢٤ ساعة . وبعد مضي ٤٨ ساعة على تناولها نجا المرضى جميعهم من الحمى . وتركب هذه الأقراص من الهلام « جيلاتين » والبنيسيلين ممزوجين بمادة واقية لها من التلف

عوض جندي

مكتبة المقتطف

عصر الاشتراكية

للأستاذ اسماعيل مظهر

— ١ —

أصدر رسالة بهذا العنوان الأستاذ اسماعيل مظهر رئيس تحرير « المقتطف » والكاتب المفكر الذي رفع مشعل حرية الفكر بأعمق معانيها في مصر منذ ثلاثين عاماً والذي قبس من نور هديه وغزير علمه ونقاء وطنيته الكثيرون من رجال مصر وقادة الجيل . . . وان هذا المفكر الجريء الذي يأبى إلاّ أن يكون كما كان دائماً في طليعة المفكرين والذي لم يضعضعه تطاول السن، ولم توهن من عزيمته فداحة التضحيات ، هذا المفكر الجريء يضع اليوم أمام شباب هذا الجيل بهذه الرسالة نبراساً مضيئاً يبصّرهم بحقيقة المذهب المسيطر على العصر الذي يعيشون فيه بأسلوب قوامه الاخلاص والتعمق وعرض يهدف الى اجتناء الفائدة وتجنب الزلل. فانه من الغباء حقاً أن لانستفيد من تجارب غيرنا كالابتداء في تحقيق المذاهب الجديدة من غير أن نتعمق في درسها واكتناه احتمالاتها .

وقد تناول الأستاذ اسماعيل مظهر في الفصل الأول شرح ما هي الشيوعية وما هي الاشتراكية مما يجهله الكثيرون من قادة هذه الحركة أنفسهم في مصر وغيرها وما يجب أن يعرفه كل مثقف حتى لا يسهل انحرافه وفي هذا القول ردّ على أستاذ في معرض المناقشة بشأن الصلة بين الشيوعية والاشتراكية (نعم أن في الشيوعية بعض معاني الاشتراكية ولكن الشيوعية مع ذلك مذهب أو متجه إجتماعي ليس فيه من الاشتراكية إلاّ ناحية منظمة للحياة الاقتصادية ولكن الشيوعية فوق ذلك نظام حكم ودولة دكتاتورية.

وليس في الاشتراكية شيء من ذلك أصلاً وقد يكون النظام الاقتصادي إشتراكيًا وتكون الدولة ديموقراطية مقيدة بأنها ملكية أو جمهورية ملاكها دستور حر تحترم فيه الحريات وتنمو فيه الكفايات ... وليس في ذلك كله شيء من الشيوعية إذ أن النظام الشيوعي نظام هرمي تطابقي تعلو فيه طبقة على طبقة، وتتدرج الطبقات، فإذا كمل الهرم تربع من فوقه مجلس أعلا ومن فوق هذا المجلس تربع شخص واحد هو ستالين في روسيا) .

بهذا التحديد الواضح الدقيق تكشفت حقيقة خطرة بعيدة الأثر . فلو عرف دعاة الحركات التقدمية في مصر والشرق كيف يوضحون مذاهبهم هذا التوضيح الجلي ، لما كانت قائمة الحكومات عليهم ووقفت بذلك سير شعوبها نحو التقدم . وللحكومات عذرها إذا خلطت بين دعاة الاشتراكية ورسل الشيوعية من المجاهدين في سبيل أممهم ومذاهبهم الاصلاحية إن النظام الشيوعي كما أمكن تطبيقه رجوع الى أشنع أنواع التحكم التي عرفها التاريخ . إن أعلا القمم في سلسلة تاريخ البشرية هي النضال من أجل الحرية حرية الفكر والوجدان لا حرية الرغيف . فالثانية تبع للأولى . وإننا نكون جد مجانين وخائنين لرسالة الانسانية لو أسلمنا هذه الحرية لأي نظام من الأنظمة مهما تحقق في ظله من مطالب المادة . إن أفضل الأنظمة عندي هو النظام الذي يستطيع فيه من ليس في الحكم أن يقول للحاكم إذا تجاوز حدّه : قف مكانك وإلاّ أزلتك بقوة القانون فهو الحكم بيني وبينك . وهذا أبعد ما يكون عن التحقيق في ظلّ نظام دكتاتوري . ولكن هذا يتحقق فعلاً في ظل نظام اشتراكي لدولة ديموقراطية سواء أكانت ملكية أم جمهورية قوامها دستور حر — وهذا ما يجب أن يعرفه الناس في هذا الشرق حكاماً ومحكومين حتى لا تفزع الحكومات وتأخذ المصلح بجريرة الهدّام نتيجة تخليط في الفهم وجهل بالمبادىء، وهذا ما يقع فيه مع الأسف الكثيرون من المفكرين والمثقفين فضلاً عمن دونهم .

وفي الكتاب بحث رقم بعنوان « حددوا الحدود » نشر بمناسبة إصدار الحكومة المصرية لقانون مكافحة الشيوعية وكان من أثره تعديل القانون وقصر تهمة الشيوعية على محاولة التنفيذ العملي لا لمجرد إبداء الرأي

ولعلّ حكومات الشرق المستقلة لا ترى حرجاً بعد ذلك في قيام الأحزاب الاشتراكية

ما دام الأمر قد وضح هذا الوضوح الذي لا لبس فيه ولا خلاف منه على الأنظمة القائمة .

وجاء في الفصل الثاني من الرسالة ملخص بتاريخ الحركة الاشتراكية والعمالية في بريطانيا ولعلّ هذا الفصل أحسن قدوة يستطيع أن يستفيد بها الشباب المتنور وان هذه الرسالة على صغرها لأجدى على القارىء من قراءة كثير من الكتب المطولة في هذا الموضوع بل لعلها ألزم له إذا ما أراد الاّ أن يطالع المطولات فانه لأفضل له أن يدخل عليها من هذا الباب (رسالة عصر الاشتراكية) إذ بذلك يكون قد حمل بيده مصباح الأمان .

محمد فهمي

— ٢ —

ما أشبه المجتمع البشري بسفينة تشق طريقها في بطء ، وتتحرك على مهل ، وسط ثورة العواصف ، واصطخاب الأمواج ، وما أشبه أحرار الفكر بمن يقبضون على دفتها ويحاولون النجاة بها ، فهم يدرسون حالة الطقس ومداخل الطريق ، ويحرصون على سلامة الركب ، وما هذه الألوان المثيرة ، المحزنة من الثورات ، والحروب التي تلطخ التاريخ البشري ، إلاّ أدلة قوية ، على أن الوضع الإجتماعي لم يأخذ مكانه الطبيعي بعد ، وان أطباءه الاجتماعيين لا يزال الداء يستتر على أنظارهم ، ويدق على أفهامهم ، ولا تزال هذه الأعراض التي تبدو على جسمه تؤكد كمون الداء ، واستشرائه ، وما هذه الدعوات إلى هذا المذهب أو ذاك ، إلاّ تجارب للوصول إلى معرفة الدواء الذي يسكن إليه المريض ، وتذهب معه العلة ، ومن أخص واجبات هؤلاء الذين يتولون الدعاية الاجتماعية ، ويتصدون للقيادة الفكرية ، أن يكونوا على أهبة لتلقي أمثال هذه المذاهب ، وفحصها أولاً ، ومناقشة ما تنطوي عليه من عناصر ، والأستاذ — اسماعيل مظهر — من أولئك الذين قاموا بأعظم الجهود في تأدية رسالة الفكر الحر ، ولا تتأتى النهضة الاجتماعية ، والفكرية إلاّ على أمثال هذه الأيدي الحرة ، التي لا تقيدها الرجعية ، ولا تحجب عن أنظارها سحائب الجمود الجوانب التي هي خليقة بالعناية والدراسة وهو في هذه الرسالة يجنح إلى أن طبيعة المجتمع الحاضر ، لا يصلح لها ولا تستمرىء غير الاشتراكية . وهو لا يرمي بهذا رمياً . بل هو يبنيه ، ويستخلصه من دراسات ونظرات طويلة نافذة ، فهو يعرض لك المقدمات ، ويضع بين يديك الشواهد ، التي تسلمك إلى النتائج

التي يحاول الوصول اليها ، ولا يعنيه أن يرى غيره غير هـذا الرأي ، أو ينظر في المجتمع من غير هذه النافذة ما دام جيد البحث ، قوي الاستقراء ، عبقري النظرات . فنحن نستفيد من أسلوب هذا العرض قبل كل شيء . فهو أسلوب جديد في الدراسات الاجتماعية والفكرية في الشرق. وقد قسم البحث على بابين : الاول وقفه على تفنيد المزاعم التي يروّجها الشيوعيون ثم يعقب في الباب الثاني على ذلك ببحث تأملي ، تاريخي ، ناضج عن طبيعة الاشتراكيـة ، والاستاذ يعتمد في دراساته على أعظم رجال الدراسات الاجتماعية في العالم ، ثم على نظرته الخاصـة ورأيه المستقل ، فجاءت هذه الدراسات عن ذلك النمط الذي لا يظفر به القارىء إلاّ من الاقلام الفذة ، وإنه لبحث خليق أن يكون الطالع الجديد « لرسالة الفكر الحر » والتي نأمل أن تؤتي ثمارها في تحرير الفـكر الذي طال استعباده ، وعمق نومه ، وتفه في الحياة القيمة أثره .

محمد عبد الحليم أبو زيد

١ — أمهات المؤمنين وأخوات الشهداء

للسيدة وداد سكاكيني — ١٧٢ صفحة من الحجم المتوسط — دار الفكر العربي

كتاب موجز مُلمّ جمع في عدد قليل من الصحائف سير طائفة من العربيات اللائي كنّ فجر النهضة النسوية في الجزيرة العربية . أنيق الأسلوب ، أنيق العرض ، أنيق الاختيار، ولا غرو فهو كتاب عن سيدات كتبته أديبة بارعة هي السيدة الجليلة وداد سكاكيني ، أديبة سوريا ونزيلة القاهرة الآن .

تحدّثت في الـكتاب عن خديجة أم الزهراء التي كان لها من الجرأة والإقدام ما دفعها إلى أن تتقدّم إلى محمد الرسول تخطبه لنفسها وتعيش في كنفه خمسة وعشرين عاماً حتى يُؤذن لها بالفكاك من قيود الدنيا المادية وتنطلق روحها إلى بارئها .

وتحدّثت عن فاطمة الزهراء بنت محمد وأم الحسنين ذات القلب الرفيق الحنـان ، التي آثرت أن تتصدق بذهبها وسترتها لبعض الفقراء ، على أن تتزين بهما وتختال على وصيفاتها وبنات جلدتها .

وساقت حديثاً طليـاً عن عائشة المفترى عليها وكيف تجلدت أمام حديث الإفك الذي تناقلته ألسنة الوشاة المرجفين حتى ظهرت براءتها على الملأ ولقّبت بأم المؤمنين .

واسترسلت السيدة وداد سكاكيني. بإطارها البيانيّ الجميل تتحدث عن وفاء بنت الرسول وأخت الحسين وذات النطاقين وأم سلمة وزينب الأسدية ومارية المصرية وخناس الصبور وريحانة الحجاز وأم معاوية وأخت ضرار وأم الأمين ، وهي لا تكاد تستكمل صورة زاهية الألوان حتى تنتقل إلى أخرى أخَّاذة البريق ، إلى أن أتمتِ الكتاب والقارىء مبهور مشغوف .

بيد أني أعتقد أن كتاب « أمهات المؤمنين وأخوات الشهداء » لا يصحّ أن يعدّ كتاباً شاملاً وافياً ، وإنما هو مقدمة لكتبٍ يفرد كل واحدٍ منها لإمرأة من هاتيك النسوة اللائي استطعنَ في عصرٍ بادي الرجعية، أن يتصدرنَ حركات السفور ويأخذنَ مكانهنَّ الطبيعي في حلبات السياسة ومجالس الشورى .

٢ — النار الخالدة

للاستاذ فؤاد صروف — سلسلة إقرأ — دار المعارف بمصر

استيقظت الشعوب ذات صباح لتقرأ في صدر صحفها وبأبرز حروفها ذلك النبأ المروع نبأ توصل العلماء إلى إبتداع قنبلة ذرية تدكّ مدناً وتفني عشرات الآلاف ساعة انفجارها .

واستيقظت اليابان ذات يوم على مصرع سكان مدينة هيروشيما ، ولم تمض ساعات حتى لحق بهم سكان مدينة نجازاكي فأمست المدينتان قفراً بلقعاً ليس فيهما سوى أشلاء متناثرة وبقايا دورٍ سوّيت بالأرض ، وحفنة من المرضى والعُتَّه أمهلتهم الطبيعة بضعة أيام ليقصّوا على العالم قصة أكبر مأساة عرفها التاريخ ، وأكبر كشف استطاع بنو البشر أن يحققوه على مدى الحقب والقرون .

وإذا كانت هذه الأنباء انقضت علىَ العامّة انقضاض الصاعقة لأنهم صدموا بجدّتها، غير أن العلماء كانوا يتوقعونها بين يوم وآخر لأنهم كانوا قد تحققوا من قدرة العلم على تحطيم نواة الذرَّة وإطلاق الطاقة المكنونة فيها من عقالها ، وهي طاقة لم يكن للبشر بها عهدٌ وإن استطاعوا أن يرصدوا مداها على الورق بتطبيق قاعدة اينشتين .

والأستاذ الكبير فؤاد صرُّوف من أولئك العلماء الذين أولوا مسألة شطر نواة الذرة

واستغلال الطاقة الناتجة عن هذا الشطر في مرافق الحياة، عناية كبيرة، وكان من أسبق المصريين — إن لم يكن أسبقهم — إلى نشر بحوثه العلمية — في هذه المجلة وفي كتابه النفيس « الفتح مستمر » وقد أصدره من بضع سنين. وكان من حسن الاتفاق أن حقق العلماء الأميركيون انتاج أول قنبلة ذرية وتجربتها في بيداء نيومكسيكو والأستاذ صرّوف يزور القارة الأميركية فاستطاع أن يشهد مولد القنبلة في مهدها ويظفر بنسخة من التقرير الرسمي الذي وضعه العلماء عن القنبلة.

ولم يشأ أستاذنا صرّوف ان يستأثر لنفسه بهذه المعلومات، بل عمد إلى تدوينها في كتابه الجديد « النار الخالدة » الذي قصّ فيه رواية القنبلة فصلاً فصلاً في غير تهويل ولا إسراف متحرياً أدق الحقائق ومستنداً إلى أجدر المراجع بالثقة. وكما أن النار التي اخترعها الإنسان في فجر حياته تنفع البشرية نفعاً غير محدود إذا أحسن استخدامها، وتضرها ضرراً غير محدود إذا أسيء استعمالها، فكذلك « نار القرن العشرين » — وهي كناية عن الطاقة الذرية — تستطيع أن تهب العالم رخاء لا حدّ لمداه، وتستطيع كذلك أن تفني الخلائق في غمضة عين.

إن كتاب « النار الخالدة » وعاء مليء علماً. وهو علاوة على قيمته العلمية الممتازة قطعة أدبية رائعة ممتعة.

٣ — وطنيتي

للأستاذ علي الغاياتي — ١٣٥ صفحة متوسطة — مطبعة منبر الشرق بمصر

ليس من يجهل قصة ذلك الديوان الشعري الذي حوكم بسببه اثنان وحكم عليهما. فهو ديوان صدرت طبعته الأولى من سبع وثلاثين سنة، فكانت ضجة، وكانت هبّة، وقامت السلطات تبحث عن مؤلفه الأستاذ علي الغاياتي وكاتب مقدمته الأستاذ محمد فريد بك لتقدمهما الى القضاء جزاء وطنيتهما!

لقد آمن الأستاذ علي الغاياتي في ريّق عمره بحاجة الوطن إلى أعمال كل ابن من أبنائه فوقف قلمه على الاشادة بمجد بلاده، وسخر ملكته الشعرية على التنديد بالظلم أيّاً كان مصدره، وتمجيد الحق أيّاً كان رافع مشعله. كان مفعم القلب بحب وطنه مصر، وحب

الحرية ، فكان شديداً في الحملة على أعداء الوطن والمتقوّلين عليه ، عنيفاً في هجاء ذوي السلطان ممن يعملون على تقييد حرية الفكر وحرية الوطن .

وإذا كان الأدباء اليوم يتجادلون وتدور بينهم المساجلة بشأن الأدب وهل يقتصر على ذاته أم يسخر لخدمة المجتمع ، فقد برهن الأستاذ علي الغاياتي على أن الأدب يمكن الاستعانة به في ترقية القوميّة والحميّة الوطنية ، ويتيسّر التوسل به في إلهاب حماسة الأفراد والشعوب دون ان ينتقص من قدره كأثر فني جميل .

وأريد أن أنبّه الأستاذ الغاياتي إلى أنه قال في مقدمته إن مدينة « التير » مدينة قديمة عظيمة من مدن فينيقيا شهيرة بالتجارة والصناعة . وإذ كان الانجليز والفرنسيون يطلقون على هذه المدينة اسم Tyre غير انه يطلق عليها بالعربية اسم « صور » وهي مدينة شهيرة تقع على ساحل لبنان جنوبي صيدا . ومن الأفضل دائماً ان نطلق عليها إسمها العربي منعاً للبس ودفعاً للغموض .

وديوان الغاياتي يشتمل على دعوة وجهها الشاعر إلى الأدباء يناشدهم فيها أن لا يضيعوا جهودهم في ما لا منفعة منه للوطن بل ينبغي لهم أن يشركوا بلادهم ومشكلاتها في أعمالهم ويخدموها إن لم يكن بكل نتاجهم ، فبجله .

وهي دعوة — وإن ردّدها صاحبها من سبعة وثلاثين عاماً لا تزال أسبابها ودواعيها باقية ماثلة .

وديع فلسطين

١ — سادهانا أو تحقيق الحياة

لشاعر الهند رابندرانات تاجور — ١٧٦ صفحة من القطع الوسط — نشرته مكتبة الانجلو المصرية

كان « المقتطف » في السنوات الأخيرة في مقدمة المجلات العربية التي عنيت بأدب شاعر الهند العظيم رابندرانات تاجور ، فنشرت ترجمات كثير من آثاره الشعرية نقلها إلى العربية الأستاذ محمود كامل حبيب .

ثم نشرت دراسة ممتعة عنه بقلم الأستاذ محمود المنجوري ظلّ يتابع نشرها زمناً في المقتطف حتى أتمها .

ولقد كان رئيس تحرير المقتطف — وقتئذ — الأستاذ فؤاد صرّوف من المعنيين

بابراز أدب تاجور في العربية فهيأ تلك الفرص . كما أن رئيس تحرير المقتطف الحالي الأستاذ اسماعيل مظهر كان من أوائل العاملين على تغذية الأدب العربي بثروة طائلة من أدب هذا الشاعر العظيم فنقل الى العربية — حين كان يصدر مجلة « العصور » منذ عشرين عاماً — كثيراً من روائع تاجور .

فإذا كانت هذه المجلة هي أولى المجلاّت العربية تقدم إلى قرائها خبراً عن أثر جديد من تاجور — فليس غريباً عليها ذلك — وهذا الأثر هو كتابه « سادهانا » الذي قام بترجمته إلى العربية الأستاذ محمد طاهر الجبلاوي وهو أديب متعمق شاعري اللفظ ، دقيق في المحافظة على تعبير تاجور . وقد استطاع — على حدّ تعبير الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد — أن يلج إلى قدس أقداس هذا المحراب ، فينقل الى لغته هذا الأثر الخالد من آثار حكيم الهند .

ومن يرجع إلى الترجمة الانجليزية لهذا الكتاب يجد الدقة التي أخذ الأستاذ الجبلاوي نفسه بها حين أراد أن يؤدي إلينا في أمانة هذه الرسالة .

٢ — أعلام الجيش والبحرية في مصر
أثناء القرن التاسع عشر

الجزء الاول — ١٩٢ صفحة من القطع الكبير — مطبعة الرسالة بمصر

وهذه خطوة أخرى من الأستاذ البكباشي عبد الرحمن زكي حقق بها أملاً للمكتبة العربية ، وسدّ بها نقصاً كانت تشكوه

فالمكتبة العربية غنية بالتراجم لأعلام الأدب والفكر في كل عصر ، ولكن أبطال الجيش والبحرية لم يقدر لهم ذلك ، وكاد النسيان يعفي عليهم لولا أن فكر الأستاذ عبد الرحمن في وضع اللبنات الأولى لهذا العمل المجيد حتى تتكوّن منه على مرّ الزمن معلمة يرجع إليها في تاريخ هؤلاء الأبطال ، وليكون من وراء عرض سيرهم حافز للشباب على التطلع إلى القدوة المثلى

وليس الغرض من تأليف هذا الكتاب — كما يقول مؤلفه الفاضل — هو ترجمة حياة القادة ، من رجال البر والبحر ، فحسب ، وإن كان هذا وحده غرضاً كافياً بل إننا نهدف إلى تبيان فعال هؤلاء الأعلام ، في ميادين الجهاد والعلم والبحث والبناء حيث عملوا أفراداً أو متضامنين .

وقد ضم الجزء الاول ترجمة أكثر من مائة وعشرين شخصية من أبرز رجال الجيش والبحرية في أيام محمد علي وفي أيام الخديوي اسماعيل وما يلي عهده . وفي مقدمة من تناولهم

البحث مؤسس النهضة العسكرية في مصر محمد علي الكبير ثم ابنه ابراهيم باشا فاسماعيل باشا وأشباله .

وإنه في الحقيقة لمجهود ضخم يحتاج إلى قوى كثيرة تضطلع به ، ولكن همة المؤلف فوق كل جهد ، فقد اضطلع وحده بهذه المهمة الشاقة فاستطاع أن يبرزها قوية واضحة السمات .

حسن كامل الصيرفي

أولادنا

تدأب « دار المعارف بمصر » منذ انشائها على اداء رسالة الفكر ومسايرة روح العصر والتمشي مع نهضته ، فنراها تهل علينا بين الحين والحين بمشروعات تتفق ومختلف الأذواق ، فأصدرت منذ أعوام سلسلة « اقرأ » ثم مجلة « الكتاب » ثم « روضة الطفل » . وها هي ذي اليوم تصدر سلسلة جديدة للنشء هي « أولادنا » .

فأولادنا هم « أكبادنا تمشي على الأرض » والواجب يقتضينا أن نوفر لهم كل أسباب الحياة النافعة ، فان العناية بهم وتنشئتهم النشأة الصالحة هما أساس تقدم الأمم ونهضتها . وأول مظاهر هذه العناية يتجلى في الحياة العقلية فهي دعامة السعادة والرقي ، ومن ثمّ وجب أن يحبب اليهم الكتاب الصالح ليقبلوا عليه صغاراً ويتعلقوا به كباراً ، فيرهف حسهم وتنمو ملكاتهم ويصيروا رجالاً تزهى بهم الفضيلة ويعتز الوطن .

ولقد احتلت القصة في هذا العصر المحل الأول من عناية المربين والمعلمين لأنها الدرجة الأولى من سلم المعرفة ، ولكن المكتبة العربية ، على ما فيها من نفائس القصص الصالحة للنشء — لا تزال مفتقرة الى المزيد . « فدار المعارف » باصدارها هذه السلسلة الجديدة تسد هذا الفراغ ، وتقدم « لأولادنا » خير ما يوسع آفاق خيالهم ويجلو لهم أنوار المعرفة في متعة وتسلية .

و « أولادنا » عنوان يذكر الآباء بمطالب أبنائهم ويبصر الأبناء بفضل آبائهم عليهم ولا شك أن إشراف حضرة المربى الكبير الأستاذ محمد فريد أبو حديد بك عميد معهد التربية العالي على هذه السلسلة كفيل بأن يقدم لأولادنا كل ما يسر وينفع .

تصحيح خطأ

وقع في مقال الأستاذ الصيرفي المنشور في الصفحة رقم ٢٣٧ من العدد السابق عن كتاب « رباعيات عمر الخيام » خطأ حيث جاء فيه « ... فتح جديد وصحته « فتح باب جديد »

فهرس الجزء الرابع

من المجلد العاشر بعد المئة

٢٤٣ المدْرَس الدولي أو منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة : اسماعيل مظهر
٢٤٧ خليل مطران الشاعر : حسن كامل الصيرفي
٢٤٨ أبناء العروبة يكرمون شاعرهم
٢٥١ أصل الأديان : أمين نعوم
٢٥٥ الكتاب اللبناني : حسن كامل الصيرفي
٢٥٨ الربيع (قصيدة) : شاعر البراري
٢٥٩ هذا الانسان : شكري شمشاعة باشا
٢٦٥ وقفة على قبر أخي (قصيدة) : عدنان مردم بك
٢٦٧ النظارات (العدسات) اللاصقة : دكتور ممدوح الصباغ
٢٧٣ الماضي الخالد (قصيدة) : عفيفي محمود عفيفي
٢٧٤ الشيطان — الملاك (قصة تاريخية) : الدكتور محمود فياض
٢٨٠ غروب شمس (قصيدة) : حسن كامل الصيرفي
٢٨٣ السلم الدائم والحلف العام : ع . ش
٢٨٨ البصل علاج للسرطان : احمد أبو الخضر منسي
٢٩١ جزيرة الرجال وجزيرة النساء : محمود العابدي
٢٩٦ باب المراسلة والمناظرة * تنبيهان : رشيد السعد
٢٩٧ باب الاخبار العلمية * الديكتافون جاسوس علمي مأمون . تنفيض الغبار بالكهرباء . الجهاز الحلاق . اقراص البنسيلين ومنافعها : عوض جندي
٣٠٣ مكتبة المقتطف * عصر الاشتراكية للاستاذ اسماعيل مظهر بقلم محمد فهمي ومحمد عبد الحليم أبو زيد . (١) أمهات المؤمنين وأخوات الشهداء (٢) النار الخالدة (٣) وطنيتي : وديع فلسطين (١) سادهانا أو تحقيق الحياة (٢) أعلام الجيش والبحرية في مصر : حسن كامل الصيرفي : أولادنا .

---

٢ — لحق

٤٩—١٠٠ المسرحية عند شوقي : تأليف محمود حامد شوكت